الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم فلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص فلسفة العلوم

موسومة بـ:

فلسفة العلم بين النزعة العقلية والنزعة التجريبية (سبينوزا- جون ستيوارت مل) نموذجا (دراسة تحليلية ومقاربة)

من أعداد الطالبة

-كبوش خيرة

إشراف الأستاذ

-بورويبة محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الإستاذ: خليل حجاج رئيسا

الاستاذ : بورويبة محمد مشرفا

الاستاذ: شاذلي هواري مناقشا

السنة الجامعية : 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين أما بعد:

نشكر الله العلي القدير على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث فهو عز وجل الأحق بالشكر والحمد لله سبحانه و تعالى .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص الشكر للأستاذ المشرف بورويبة محمد على توجيهاته لنا في سبيل إتمام هذا البحث.

ولا ننسى أن نتقدم بخالص الشكر إلى كافة الأساتذة في جامعة ابن خلدون وخاصة أستاذ ه.شاذلي ،أستاذة فه,امبارك ، أستاذ أ.بوعمود، أستاذ بن ناحي.

مقدمة

بحث الإنسان منذ بداية خلقه عن أساليب أو طرق يحل بها المعضلات التي يواجهها، خاصة عن طريق المعارف والمدركات العقلية، وبصفة أساسية العلم وسجلت بعض الأفكار المتناثرة من الحضارات القديمة كملامح منهجية خاصة ما خلقته الحضارة اليونانية من فكر فلسفي في القرن الثالث ق.م، ولكن لم تترسخ هذه بأفكار وترتفع إلى مستوى منهج علمي متميز، حتى جاءت الحضارة العربية الإسلامية، فأرست دعائم مناهج راسخة ومحددة في شتى المعارف الإنسانية وبرزت المناهج العلمية في مئات الكتب والمخطوطات العربية، والتي عرفت أوج نشاطها بداية من منتصف القرن السابع الميلادي حتى منتصف القرن الخامس عشر.

فانتهجت الحضارة الغربية العديد من التيارات الفكرية والفلسفية على اختلاف النزعات والمذاهب خاصة في العصر الحديث، الذي يعد الفترة المتميزة في الفكر الغربي، من خلال هيمنة العقلانية التي أطلقت العنان للعقل والتجربة وحرية الابداع والرأي، وهو ما يؤكده اميل برييه حيث يرى أن عهد الإنسانية عصر النهضة قد ولى على غير رجعة واطل قرن ذو نزعة عقلانية أخذت على عاتقها أن تنظر إلى العقل البشري في نشاطه الفعلي لا في عقله الإلهي، وكان من نتائج هذه العقلانية ظهور المنهج العقلي والتجريبي. فالمعرفة في صميمها هي معركة حول وسيلة المعرفة ماذا تكون؟

فقد كان سائدا أن في الفلسفة طريقتين للنظر الى هذا الموضوع ,احدهما يجعل طريق المعرفة بادئا من داخل الانسان متجها إلى خارجه ، ومنهم من يجعله بادئا من خارج الانسان متجها إلى داخله،والعقليون و المثاليون هم من أنصار الطريق الأول ، والتجريبيون و العلميون هم من أنصار الرأي الثاني.

قد اتخذت في دراستي هذه من كل اتجاه نموذج،الاتجاه العقلي "سبينوزا"، أما في الاتجاه التجريبي فكان "جون استوارت مل "والذين أنا بصدد دراستهما باعتبارهما من أبرز الشخصيات الشائعة في الفكر الغربي.

إضافة إلى تمثيلهما وتعصبهما الشديد لنزعتيهما، وتناولهما للعديد من المسائل والقضايا المعرفية في مختلف المجالات المعرفية، لذلك كان من الضروري التعرف على المواضيع

الأساسية التي توصلا إليها كل منهما، والمنهج الذي رسمه كل منهما لالتماس درجة اليقين في بناء المعرفة العلمية.

ومن أسباب اختيار لهذا الموضوع الدافع القوي التعرف على منهج كل منهما بغية الوصول إلى العلاقة الموجودة بين العقل والتجربة، باعتبارهما (التجربة، العقل)، كانا يحتلان الصدارة في هذا العصر الذي سمي بعصر المناهج كما يقول محمد عابد الجابري، بإضافة إلى البحث عن مخرج يجعلنا نتجاوز النزاع القائم بينهما في صورة تبرز العلاقة بينهما في ظل التطورات التي تشهدها الساحة العلمية، و ما يثيره التأمل في طبيعة معرفتنا من مشاكل فلسفية محيرة التي تشكل في مجموعها نظرية المعرفة او الابستمولوجيا وذلك من خلال الأبحاث الفلسفية والعلمية لكل من سبينوزا وجون ستيوارت مل.اضافة الى انه لم تكن هناك دراسات سابقة لمثل هذه الاشكاليات بين منهجي العقل والتجربة في فلسفة العلم و بصفة خاصة سبينوزا الذي ألفنا دراسته فقط فيما يخص الاتجاه الانطلوجي الخاص بالماهيات و الوجود.

ومنه فالإشكالية التي سأتناولها في هذا السياق :

كيف أسس العقليون والتجريبيون لفلسفة العلم؟ وأين تظهر مبادئ هذا التأسيس في كل من تفكير سبينوزا وجون ستيوارت مل العلمي؟

وإلى أي مدى يمكن قراءة التطورات الفلسفية والعلمية التي صاحبت تجليات نزعتهما العلمية في الخطاب العلمي المعاصر؟

قد انتهجت في البحث والتفتيش عن ارهاصات لهذه الإشكالية منهجا تحليليا مقاربا بالدرجة الأولى، اقتضته طبيعة البحث حيث علقت على تحليل دقيق للمفاهيم التي جاء بها كل سبينوزا وجون ستيوارت مل، لضبط منهجيهما المتميزين بإضافة إلى التحليل والمقاربة، استخدمت منهجا نقديا مستعينة بانتقادات الموجهة لكل من سبينوزا وجون ستيوارت مل لغاية في تقويم فلسفتهما.

وبناءا على ما تقدم اعتمد على خطة مؤلفة من أربع فصول في كل فصل ثلاث مباحث، رتبتهما على النحو التالي:

الفصل الأول جاء بعنوان مدخل نظري وتحديد مفاهيمي لفلسفة العلم عند التجريبيين والعقليين، استعرضت فيه في المبحث الأول مفهوم فلسفة العلم من خلال التطرق إلى

مفهوم العلم وتبيان الصلة بين الفلسفة والعلم، بين الاتصال والانفصال حتى أصبحت فلسفة العلم مبحث من مباحث التفسير العلمي والفلسفي المعاصر، كمبحث أكاديمي متخصص، كما تناولت في المبحث الثاني المنهج ومفهوم العقل عند العقليين ، من عرب وغرب كنماذج.

اما في المبحث الثالث فقد تناولت فيه المنهج و مفهوم التجربة عند التجريبين من آراء ووجهات نظر لفلاسفة عرب وغربيين.

اما الفصل الثاني فكان بعنوان فلسفة العلم عند سبينوزا بصفته ممثل أو نموذج المنهج العقلي، وقد خصصت فيه المبحث الأول حول نظرية المعرفة وازمة اليقين، أما المبحث الثاني فكان حول نظرية المعرفة وتطورات فلسفة العلم عند سبينوزا في مجال المنهج العقلي، إضافة إلى مساهماته في مجالات العلوم المختلفة السياسة الأخلاقية...، أما في المبحث الثالث فكان حول العائق الابستيمولوجي عند سبينوزا أو المنهج الاستنباطي بصفة عامة.

أما بالنسبة للفصل الثالث فكان موسوما بفلسفة العلم عند جون ستيوارت مل بصفته نموذج المقترح للمنهج التجريبي وقد تطرقت فيه في المبحث الأول إلى مشكلة الاستقراء وما أثارته من مشاكل وتعدد الآراء من اول ظهور له حتى مشكلة "هيوم"، وذلك باعتباره منهج جون ستيوارت مل والتجريبيين بصفة عامة، أما المبحث الثاني فكان حول نظرية المعرفة وتطورات فلسفة العلم عند جون ستيوارت مل في مجال منهجه التجريبي، إضافة إلى حلوله المقترحة لمشكلة الاستقراء، كذا مساهماته في مجلات العلوم المختلفة والسياسية والأخلاقية، إلى غير ذلك من مجالات المعرفة، أما المبحث الثالث والأخير، فقد تحدثت عن العائق الابستيمولوجي للمنهج " جون ستيوارت مل" والمنهج الاستقرائي بصفة عامة.

أما في الفصل الرابع والأخير فكان مقاربة فلسفية بين النزعة العلمية عند سبينوزا وجون ستيوارت مل، وبما أنهما كان بمنهجيين مختلفين وفي صراع دائم ، حاولت في المبحث الأول التطرق إلى التطورات الفلسفية لنزعتيهما خاصة على مستوى المنهج الاستنباطي عند سبينوزا والاستقرائي عند جون ستيوارت مل بالإضافة إلى تطورات المنهج التاريخي الذي انتهجه سبينوزا ومساهماته في تطور العديد من مجالات المعرفة، أما المبحث الثاني للفصل الأخير فكان قراءة نقدية لفلسفة كل منهما أقصد سبينوزا وجون ستيوارت مل وما احتوته

فلسفتهما من نقائض ونقائص بشهادة فلاسفة في المجال تأثروا واختلفوا عنهم سواء في المنهج أو الفلسفة.

ويعد هذا البحث كغيره من البحوث لا يخلوا من الصعوبات، منها ما يتمثل بالمصادر والمراجع إذ نادرا ما نعثر عليها في المكتبات الجامعية أو غيرها، وكان سبيلنا إلى ذلك المكتبات الإلكترونية بصيغة pdf، أما فيما يخص موضوع البحث فكان بالنسبة لسبينوزا تلقينا صعوبة بالغة في تتبع حجج سبينوزا لصعوبة وغموض فلسفته، وهذا بشهادة قراءه، اما بالنسبة لجون ستيوارت مل فقد واجهتنا صعوبات في ما يخص المنهج لتداخل وتعدد الآراء والوجهات حول منهج الاستقراء، كذا تشابه المادة العلمية عند العديد من الكتاب والمؤلفين.

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي لفلسفة العلم عند العقليين والتجريبين

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي لفلسفة العلم

المبحث الثاني: المنهج ومفهوم العقل عند العقليين

المبحث الثالث: المنهج ومفهوم التجربة عند التجريبيين

تمهيد:

ان المعرفة العلمية التى امتلكها الانسان قديما لم تكن مطابقة للواقع وخاصة المعرفة العلمية مما دعا للتفكير في طرق جديدة، ويقول جون المو " ان عالم العلم هو البناء، وطرق هذا البناء تكون المرحلة الاولى للعلم" ومعنى هذا ان المعرفة العلمية تبتدئ بوضع المناهج التى تسهل عملية للكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة ،التي تهيمن على سير العقل و تحديده حتى يصل الى نتيجة معلومة، وذلك نتيجة لترتيبات صائبة للعمليات العقلية التى تقوم بالكشف عن تلك الحقيقة و البرهنة عليها، ويعتبر المنهج الطريق الذي يصل بها الانسان الى الحقيقة و البرهنة عليها، فهو يسهل له طريق المعرفة ، و يوفر له الجهد و العناء، وكلما تقدمت الحضارة و ازدهرت و كلما كان العلم كانت الحاجة الى المنهج اشد.

وقد ارتبط المنهج بالعلم الى درجة الالتزام، اذ لايمكن تصور تطور البحث العلمي دون منهج، فغياب المنهج في العلم سيؤدي لامحال الى الاخطاء باعتبار أن المنهج يشمل القواعد والقوانين التى يسير عليها البحث العلمي.

لذلك يجب العناية بالمنهج لأن البحث عن الحقيقة لا يتم الا بمنهج له قواعده الاساسية التى تمكننا من الوصول الى نتائج سليمة ، وبهذا يصبح المنهج لصيقا بالعلم يرافقه في كل خطوة يخطوها ، شريطة ان تكون عملية البحث حقيقية مستوفية كل الشروط التى يقوم عليها البحث العلمي، ويقوم عليها المنهج كذلك، ولعل اهمها الموضوعية و البعد عن الذاتية التى تؤدي الى نتائج غير دقيقة ، ويفقد البحث العلمى مصداقيته فهو التحليل المنظم و المنسق للمبادئ و العمليات العقلية و التجريبية التى توجه بالضرورة للبحث العلمي.

المبحث الأول :مدخل مفاهيمي لفلسفة العلم

الفلسفة والعلم، لنقف على توجهات أن الفلاسفة العلمية، وتطورات العلماء الفلاسفة، والأسس الفلسفية لنظريات العلمية، سوف نحاول دراسة العلم كونه مقدمة اساسية لتعرف على الفلسفة العلمية.

لكن تعريف العلم تواجهه صعوبات كبيرة، ذلك لتوزع ممارسته في مختلف أنواع النشاط الإنساني العلمية والعقلية، فهو نشاط عقلي يشبه الفن والدين والفلسفة، لا يمكن دون الصلة التاريخية. لذلك سوف نعرض مسحا شاملا التعريف العلم، لأن من درس شأنا من الشؤون العلم إلا وقدم تعريفه الخاص.

أولا–مفهوم العلم:

أ–لغة: مصدر الكلمة: عُلِمَ، وعلم الشيء عرفه، ورجل علامة أي عالم جدا، والعلم من صفات الله عز وجل، العليم والعالم والعلام، قال تعالى: {عالم الغيب والشهادة}[1] ، وقال: {علام الغيوب}[2]، وقال تعالى: {إنه هو السميع العليم}[3].

ب–اصطلاحا: العلم (science) من اللفظ اللاتيني (scienta)[4] وهو الإدراك المطلق تصور كان أو تصديقا، يقينا كان أو غير يقيني، وقد يطلق التعقل المحض، أو على حصول الشيء في الذهن، أو على الإدراك الكلي، أو الاعتقاد الجازم المطلق للواقع[5].

وفي ما يلي بعض معاني تدل على "العلم" على سبيل المثال لا الحصر، **العلم** يعني أي نشاط أو مهارة أو مجال اهتمام يخضع لدراسة[6] ومن هذا جاءت "العلمية العلمي" أي كل ماله علاقة ومستخدم في العلم قاموس ويبشر الجديد يعرف العلم:

---

[1] – **سورة الرعد**، رقم **الآية** 08

[2] – **سورة سبأ** ،ا **رقم لآية** 48

[3] – **سورة الشعراء**، رقم **الآية** 220

[4]–ابن منظور، لسان العرب، مادة "علم"، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت، ص 3083.

[5]–جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ص 99.

[6]–إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2000م، ص 20.

هو المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والدراسة والتجريب، بغرض تحديد طبيعة واسس وأصول ما تتم دراسته[1].

أي العلاقة بين الذات العارفة والقضية المعرفة على أنها صحيحة، ويتعارض مع الجهل[2].

ويعرف قاموس أكسفورد المختصر العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثالثة المصنفة والتي تحكمها قوانين عامة بطرق ومناهج موثوقة لاكتشاف حقائق جديدة في نظام الدراسة[3].

والعلم عند أرسطو "هو إدراك الكيان"[4]، ويعني ذلك أن غاية العلم في نظر أرسطو هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء، وهي غاية نظرية بخلاف المعرفة العامية، تتقيد بنتائج علمية وتظل معرفة جزئية.

أما "بوترو" فيصرح أن "العلم بمعارفه حول الكون والحياة يستطيع أن يرح قلب الإنسان ويرضيه"[5].

وذلك من خلال تعدد مجالاته في الكون، وسد رغبات الانسان المادية والمعنوية.

أما باشلار فيعرفه: "بأن الباحث بمجرد ما ينظر إلى جوهر النشاط العلمي فإنه سرعان ما يتحقق من أن النزعة الواقعية والنزعة العلمية، يتبادلان النصائح فيما بينهما إلى أبعد حد"[6].

أي أن التفكير العلمي الحقيقي هو ذلك الذي يقرأ المركب البسيط، وينظر بالقانون أي التفكير بمناسبة الواقعة ويتحدث عن الواقعة بحيث يتكون بصدد المثال[7].

---

[1]–أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، الدوحة، د.ط، 994م، ص 19.

[2]–أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية: تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، ط2، 2001م، ص 1243.

[3]–أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، مرجع نفسه، ص 20.

[4]–جميل صلبيا، معجم فلسفي، المرجع السابق، ص 99.

[5]–هنري بونكاري، قيمة العلم، تر: الميلودي شغموم، دار الصنوبر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ط1، 2006م، ص 68.

[6]–إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 22.

[7]–قنصوة صلاح، فلسفة العلم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2008م، ص ص 42.

وعموما يمكن القول أن الباحثون يجمعون على أن العلم بحث نظري أي أنه جهد مبذول للمعرفة والفهم الذي يحيط بظواهر الطبيعة على أن تشمل الطبيعة كل من الانسان والعالم المحيط به.

ثانيا–العلم والمعرفة:

كان العلم منذ القدامى مرادف للمعرفة، أيا كان نوعها وسببها، إلا أن العلم الحديث يقسم المعرفة إلى نوعين:

أ. **معرفة علمية:** تأتي عن طريق الحواس.

ب.معرفة أدبية: تأتي عن طريق الفكر[1].

لقد استخدموا كلمة علم في المعرفة العلمية دون الأدبية ومنه شاع التقسيم في المعاهد والجامعات القسم الادبي والقسم العلمي.

وفي القرن السادس عشر ظهر فرنسيس بيكون في مقولته المشهورة "المعرفة هي القوة، ووعيا بالطاقة الكامنة في المفاهيم الجديدة للعلم"[2].

والتمييز بينهما يكون على اساس قواعد المنهج ومناهج التفكير التي تتبع في تحميل المعارف، فالعلم هو استدلال فكري، أما المعرفة فهي العلم التلقائي وهي أوسع وأشمل من العلم، لأنها تتضمن معارف علمية وغير علمية[3]، فالعلم فرع من فروع المعرفة يتخصص في دراسة مبادئ ومناهج بالتجارب والفروض، يمتازبالوحدة والتعميم، أي هو أعلى درجات المعرفة.

ثالثا–تصنيف العلوم:

إن الفلاسفة يرتبون العلوم ويصنفونها لتبيان موضوعاتها ومناهجها من تشابه ووحدة.

أ–التصنيف الأول في الفلسفة القديمة:

تصنيف أرسطو: قسم العلوم حسب حاجة العقول:

- إذا كانت الحاجة للاطلاع كانت علوم نظرية كالرياضيات والطبيعيات.

---

[1]–محمد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد، بيروت، د.ط، د.ت، ص 50.

[2]–احمد بدر، اصول البحث ومناهجه، المرجع السابق، ص 19.

[3]–رجاء وحيدي دويدري، البحث العلمي "اساسيات النظرية وممارساته العلمية"، دار الفكر، دمشق، دمشق، سوريا، ط1، 1420هـ–2000م، ص 24.

- إذا كانت الحاجة للإبداع كانت علوم شعرية كالبلاغة والجدل.
- إذا كانت الحاجة للانتفاع كانت علوم علمية كالأخلاق والسياسة[1].

ب–التصنيف الثاني: من تصنيفات العرب

ابن خلدون يقسم العلوم إلى قسمين:

1–القسم الأول: تشمل العلوم العقلية: كالمنطق، علم الرياضي، العلم الطبيعي، العلم الإلهي.

2–القسم الثاني: تشمل العلوم النقلية: علم التفسير، القراءات، الحديث والفقه، أصول العقيدة[2].

الأولى طبيعية للإنسان من حيث هو ذو فكر والثانية تخبر عن الواقع الشرعي.

ج –من تصفيات العلوم في الفلسفة الحديثة:

تصنيف بيكون القائم على الملكات العقلية الضرورية لتحميل العلم وهي ثلاث ملكات:

- العقل هو أساس العلوم الفلسفية.
- التخيل هو أساس العلوم الشعرية.
- الذاكرة هي أساس العلوم التاريخية[3].
- أما أوغست كونت فإنه يقسم العلوم إلى ستة اقسام: علم الفلك، علم الفيزياء، علم الكيمياء، علم الحياة، علم الاجتماع[4].

والعلماء يتفقون على تقسيم العلوم إلى قسمين:

- **العلوم الطبيعية**: كالفيزياء، الكيمياء، الجيولوجيا، الفلك، ...إلخ.
- **العلوم الإنسانية**: كالتربية، علم الاجتماع، علم السياسة، علم الاقتصاد، النفس، الإدارة، ...إلخ.

---

[1]–جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، المرجع سابق، ص 100.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1949م، ص 44.

[4]–جميل صليبا،المعجم الفلسفي، ج2، المرجع نفسه، ص 101.

رابعا–أهداف العلم:

أ–من الناحية الفكرية:

أخرج الإنسان من الخرافة الميتافزيقية والدراسات الانتروﻻوجية فالتفكير البدائي لم يكن تفكير علميا، لأنه كان قاصرا على حدود الخبرة والخيال، مما أدى إلى السيطرة الطبيعية حوله، حتى بالنسبة للطور الذي تلاه اللاهوتي، وظل الجهل بأسرار الطبيعة هو المسيطر على العقول البشرية بدل العكس[1].

وبدأت الآية تنعكس إلا في العصور الحديثة بعد الانتفاضة العلمية التي أحدثها ديكارت حيث حطم كل اتصالية الفلسفة القديمة عن طريق العلم للخروج من غياهب الميتافيزيقية عندما اعتمد على حواسه.

يقول شليك بمبدئه الشهير "لايجوز للإنسان أن يصدق سوى الأشياء التي يقدمها العقل وتؤكدها التجربة"[2].

فالعلم بوصفه أنبل زهرة العقل الإنساني وأعظم نبع للمآثر المادية له صورتان:

الأولى: صورة مثالية: يبدوا فيها العلم معنيا بكشف الحقيقة وتأملها ومهمته أن يبني صورة عقلية للعالم تلائم وقائع الخبرة.

الثانية: صورة واقعية: تسود فيها المنفعة وتتعين فيها الحقيقة، وسيلة للعمل النافع ولا تختبر منفعتها إلا بمقتضى الفعل المثمر[3].

إذا لم يعد العلم وبخاصة في الجانب النظري السعي وراء المعرفة لذاتها واحد من أهم الوسائل المخربة التي اخترعها الإنسان، فلا عجب إن ثارت الاعتراضات على شخصيات مثل: كوبرنيك، جاليلو، داروين، انشتاين، فرويد، ...إلخ.

---

[1]–هنري بونكاري، قيمة العلم ،المرجع السابق، ص 08.

[2]–عبد الهادي الفضلي، اصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم ايران د.ط ،،د.ت، ص 42-43.

[3]–قنصوة صلاح، فلسفة العلم، المرجع السابق، ص 420.

لذلك يجب التفريق بين العلم كنشاط للعلماء، وبين تطبيقاته، فالسيطرة على الطبيعة مثلا بمكتشفات الطاقة النووية لحساب دمار الإنسان، أو في صالح رخائه إذا استعملت في تقطير المياه وري الصحاري.

ويجمع الفلاسفة أن هدف العلم لايقتصر على وضع القوانين بل وليفسرها، فهو لا يقتصر على وصفها مثال: "الشمس تشرق، السماء تمطر..." بل يقدم تفسير علمي كيف وأسباب حدوثها ووضع التنبؤات الموثوقة.

مثل تنبؤات منديث* تنبؤات علم الاقتصاد، السياسة، والطب بمرض السكري، ...إلخ.

يقول أحد الفلاسفة العلماء: "إن العلم نافع لأنه يرفع الإنسان فوق نفسه، بعلمه إنه ضعيف بجسمه عظيم بفكره.

خامسا–الفلسفة والعلم:

لقد مر تطور الفكر البشري حسب أوغست كونت بثلاث مراحل أساسية:

1–المرحلة اللاهوتية: في هذه المرحلة حاول الفكر الإنساني البحث عن أصل الأشياء باعتماده على الخيال والخرافة فكان تفكير دينيا.

2–المرحلة الميتافيزيقية: تطور الفكر الإنساني بكل بسيط في البحث عن الأشياء من خلال الاعتماد على قوى حقيقية كامنة في الظاهرة، فكان تفكيرا تجريديا.

3–المرحلة الوضعية: اعتمد الانسان في بحثه عن القوانين التي تتحكم في الظواهر وهكذا تميز العلم الفكر البشري ونضج والتنقل بذاته عن الفلسفة.

أ–انفصال الفلسفة عن العلم:

لقد نشأ في القرن التاسع عشر حاجز بين العلماء والفلاسفة فالعلماء ينظرون نظرة شك إلى تأملات الفلاسفة، التي كثيرا ما بدت لهم وقد اعوزتها الدقة في الصياغة كما أنها تدور في قضايا عديمة الجدوى ولا حل لها.

*–عندما تنبا بوجود عصر جديد قبل أن يكتشف ب 15 سنة، وذلك التغيرات في جدول الدوري للعنصر الكيميائية.

اما الفلاسفة فلم يعودوا بدورهم مهتمين بالعلوم الخاصة، لأن نتائجها كانت تبدوا محددة، ولقد كان هذا التباعد ضارا لكل من الفلاسفة والعلماء[1].

لقد أدى هذا الانفصال بين الفلسفة والعلم إلى قيام هذا الأخير بدور مزدوج وهو أن يزودنا بالمعرفة التقنية، وينمي فهمنا للكون، فبدى استحالة ذلك من خلال نظام فكري واحد.

فالكثيرون يرون أن العلم يزودنا بالمعرفة التقنية فقط، أما الفهم الحقيقي فيحتاج إلى الفلسفة التي تضع المبادئ الجلية المعقولة، دون تزويدنا بالمعارف الدقيقة[2].

إن العلم يقدم الطرق لتصميم الأجهزة الفيزيائية والكيميائية، بينما تزودنا الفلسفة بالطرق لتوجيه السلوك الإنساني، فالجانب الفلسفي يصل إلى هدفه العلمي بطرق مباشرة أكثر من العلم.

وهنا نتساءل إذا كان العلم يختلف عن الفلسفة، فكيف نجد الفيلسوف فيزيائي وكيميائي ورياضي؟

رغم الاهتمامات المتبادلة بين الفلسفة والعلم فقد عاشا كما تعيش الام مع ابنها الذكي، ورغم ارتكابهما خطأ التعصب الجامد[3].

ب–دور العلم في الفلسفة:

يقول أحد الفلاسفة العلماء في هذا المجال: "العلم يكتشف والفلسفة تفسر"، فالفلسفة لم تنم في استقلالها عن العلم، فقد كان لتحولات العلمية على الدوام صداها في الفلسفة، حيث كانت مناسبات لانتعاشها وميلادها من جديد، وإعادة النظر في أسسها وفحص مفهوماتها، فالعلم يخلق فلسفة والفلسفة مضطرة لأن تكون مفتوحة تتلقى دروسها من العلم، ولا تأتي إليه بأحكامها وإسقاطاتها، وأنها تحاول أن تتعقب خطواته لكي تكون على وعي بالعقلية العلمية[4].

---

[1]–فليب فرانك، فلسفة العلم، "الصلة بين الفلسفة والعلم"، تر: علي علي ناصيف، المؤسسة العربية لدراسة والنشر، بيروت، ط1، 1983م، ص 08.

[2]– فليب فرانك، فلسفة العلم، المرجع سابق، ص65.

[3]–هنثرميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، تر: فؤاد زكريا، دار النهضة مصر لطباعة والنشر، الفحالة، القاهرة، ط2، 1985م، ص 48.

[4]–محمد سبيلا وعبد سلام بنعيد العالي، المعرفة العلمية، دار توبقال لنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط3، 2009م، ص 05.

إن تعقب الفلسفة للعلم يشكل صميم البحث الابستيمولوجي الذي هو جزء من مهمة الفلسفة، هذا لا يعني أن المنشغل في الفلسفة يحل محل العالم في مجالات الرياضيات والكيمياء والفيزياء، وإنما تكمن مهمته في إعادة بناء هذه لمعرفة العلمية، من خلال وقوف على معطيات وتطورات ونتائج هذه المعارف، ذلك أن الباحث الابستيمولوجي ما هو إلا محاولة نقدية لتحولات العقل العلمي.

فقديما كانت الفلسفة تشمل كل العلوم، قال أرسطو: "نحن نفهم أن الفيلسوف يكون ممتلكا للمعرفة كلها في حدود الممكن"[1].فلو استعرضنا الفلاسفة القدامى أفلاطون الرياضي، أرسطو الطبيعي، ابن سينا الطبيب، ديكارت الفيزيائي.

وهكذا نلاحظ أن العلاقة بين الفلسفة والعلم هي علاقة تكامل، لأن مهمة الفيلسوف لا تقتصر على جمع المعارف، بل يتجاوزها إلى سد الثغرات، التي لم يتمكن العلم من ملئها، عن طريق الافتراض والاستدلال والتضمين فهو يهتم بكل أكثر من الجزء[2].

وقد أشار "بيكون" إلى دور الفلسفة في العلم من خلال قوله "العلم في حد ذاته لا يكفي، فلا بد من قوة ونظام خارج العلوم لتنسيقها وتوجيهها إلى هدف ،هكذا نحتاج الفلسفة لتحلل طريقة العلمية، أي لمنهج وتنسيق الأهداف والنتائج العلمية، وكل علم بغير هذا بغير فلسفة العلم يعد سطحيا"[3].

مثلا المفاهيم الرياضية الآلية وضعها فلاسفة القرن 17م، ساعد في عمل غاليلو ونيوتن، وفي مجال البيولوجيا ظهرت فكرة التطور، وطبقت على علم التاريخ والبيولوجيا والجيولوجيا. وخير دليل على ذلك قول جون ديوي: "إنه كان هناك فائض من الفروض الفلسفية على حدود البعيدة للمعرفة العلمية، فحصاد العلم جني من مناقشات فلسفية غثة"[4].

فالعلم الحديث لم يكن وليد انكباب على الخبرة والتجربة ومعطياتهما، بل جاء وليد الرغبة العامة في إعادة التفكير في معطيات العالم بمنظار رياضي قبلي أي ميتافيزيقي. فقد تملكت كبلر

---

[1]–رضا سعادة، الفلسفة ومشكلات الانسان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990م، ص 34.

[2]–هنترميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، المرجع السابق، ص 48.

[3]–يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، ديسمبر 2000م، ص 20.

[4]–هنترميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، المرجع نفسه، ,ص 50–55.

رغبة عارمة في فهم مجموعة ظواهر الكون أي مجموعة الكائنات المخلوقة فهما عقليا هندسيا متخذا في ذلك بديع الصنعة الإلهية في نطاق الله في خلقه نبراسا يهتدي به[1].

فرغم ارتباط الفلسفة بالعلم في العصور القديمة إلا أنها لم يكونا متجانبين على النحو الذي نجده في العصر الحديث، فاليوم لا تكاد تظهر فكرة في الفلسفة حتى نجد من يبايعها في ميدان العلم المحض أو الخالص، ومن يحاول اثباتها بالتجريب المنهجي[2].

مثلا لا تكاد الفيزياء المعاصرة تنطلق بفكرة عن الطبيعة عن المادة أو الأثير أو لكونتا "الوحدات الكمية" حتى تظهر لها مقابلات في عالم التفكير الخالص.

وعلى العموم الفلسفة الحديثة هي فلسفة علم بالمقاربة مع الفلسفات القديمة، فلسفة اليونان والقرون الوسطى، التي كانت معظمها فلسفة في الوجود[3].

فالعلم لا يمكنه أخذ مكان الفلسفة، بل هي تلاحقه في اكتشافاته وحلوله، فتكون علم لمسائل المحلولة، إذا أي حل لمسألة علمية، يطرح الفيلسوف مسألة جديدة، وهو اتجاه الفلسفي للمعرفة العلمية، مثلا: مسألة رياضية، تهتم بطريقة التحليل والأصول في الرياضيات، ومنشأ العلم وغيره من العلوم، ومنشأ العلم وغيره من العلوم، أي بمثابة دراسة نقدية للعلوم.

وكذا فإن علاقة العلم بالفلسفة علاقة جدلية، بحيث يتبادلان التأثير والتأثر فقد استفادت الفلسفة من العلم واستغلت نتائجه في بناء اتساقها وتطويرها وتجديدها، كما أنه هو الثاني يحتاج إلى الفلسفة وقد زادت الحاجة بعد الأزمات العلمية المعاصرة المتمثلة في أزمة اليقين الرياضي والفيزياء الذرية، وهكذا أصبحت دراسة العلم من العلامات المميزة لتفكير الفلسفي المعاصر، أو ما يسمى "فلسفة العلم" الابستيمولوجيا.

فما معنى فلسفة العلم، وما موضوعاتها، ما مناهجها ومفاهيمها.

---

[1]–سالم ياقوت، فلسفة العلم في العصر الكلاسيكي: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، أوت 1989م، ص 59.

[2]–عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية لطباعة والنشر، ط2، 1985م، ص 99.

[3]–محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم (العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2002م، ص 11.

ج–فلسفة العلم:

ومن هنا يتضح أن فلسفة العلم أصبحت مبحث من مباحث التفسير الفلسفي والعلمي التي أضيفت حديثا.

فهي من حيث هي مبحث أكاديمي متخصص ومستقل عن المعرفة بصفة عامة قد نشأ في النصف الأول من القرن 19م، في ذروة المجد العلمي، الذي تؤطره فيزياء نيوتن، والذي كان معتدا بذاته إلى درجة إغفال رجالاته عن بدايات العلم وتاريخه[1].

فظهر فلسفة العلم التي تكفلت بذلك العبء من خلال التفكير في ذات العلم واهتماماته، ومنطقه ومنهجه، وخصائصه، وشروطه المعرفية، وعوامل تقدمه فهي المعبر الرسمي والشرعي عن أصول التفكير العلمي، وهي المسؤولة عن وضعية ودور تاريخ العلم[2].

تعريفات فلسفة العلم:

يعرف لالاند في معجمه الفلسفي الابستيمولوجيا بأنها فلسفة العلم.

كذلك يفعل الإنجليز والطاليان إذ يجمعون تحت مصطلح أبستمولوجيا تلك الدراسة النقدية التي أشار إليها لالاند، بإضافة نظرية المعرفة، الميتودولوجيا.

أما الألمان: فيميزون في لغتهم بين نظرية المعرفة والأبستمولوجيا ويعنون بالأخيرة فلسفة العلم[3].

أما الفرنسيين يطلقون نظرية المعرفة على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي[4]، ويقال إذا أضيف لفظ الفلسفة إلى موضوع دل على الدراسة النقدية المبادئ هذا العلم أو الموضوع وأصوله، بمعنى دراسة نقدية للعلم وهي الابستيمولوجيا[5].

أما أوغست كونت: في تصوري هي نظرة وحيدة لجميع العلوم، علم القوانين والمناهج والغايات[1]، البديل العلمي الوضعي للفلسفة الميتافيزيقية.

---

[1]–يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع سابق، ص 71.

[2]– يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع نفسه، ص 10.

[3]–عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 19.

[4]–جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج 2، المرجع السابق، ص 33

[5]–جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، المرجع نفسه، ص 64.

وهكذا نستنتج أن فلسفة العلم هي أحد فروع الفلسفة الذي يهتم بدراسة الأسس الفلسفية والافتراضات والمضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة، فهي وثيقة الصلة بين الابستيمولوجيا والأنتولوجيا، لأنها تبحث عن أشياء مثل طبيعة وصحة المقولات العلمية، طريقة إنتاج العلوم والنظريات العلمية، طرق التأكد والتوثيق من نتائج والنظريات العلمية ،صياغة وطرق استعمال الطرق العلمية المختلفة أو ما يدعى بالمنهج العلمي، طرق استنتاج والاستدلال، التي تستخدم في فروع العلم من طرق ومناهج علمية، فهي تفسير مكتمل للعلم بأداة ابستيمولوجية الرياضيات و الملاحظة والتجربة والدقة والتنبؤ والتفسير.. ...إلخ.

لذلك لا يمكن التميز بين الابستيمولوجيا و الميتودولوجيا ونظرية المعرفة وفلسفة العلم لكونها متداخلة[2].

[1]–ليفي برول، فلسفة أوغست كونت، تر: محمود قاسم والسيد بلوي، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ت، د.ط، ص 134.

[2]–ت.ديفيدب, زرنيك، اخلاقيات العلم، تر: عبد النور عبد المنعم، مراجعة: يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2005م، ص 09-10.

المبحث الثاني: المنهج ومفهوم العقل عند العقليين

1-مفهوم العقل:

اولا-لغة: هو الحجر والنهي، وقد سمي بذلك تشبها بعقل الناقة لأنه يمنح صاحبه العدول على سواء السبيل[1]، وقيل هو التميز الذي ميز به الإنسان عن سائر الحيوان[2].

ثانيا-اصطلاحا: كلمة عقلانية ترتبط بالصيغة القريبة منها، أي العقلانية والجذر الانشقاقي الذي تشتق منه كلتا الكلمتين، هو الاسم اللاتيني (Ratio) وناه العقل (Raison) وهكذا يفهم كلمة العقلاني (Rationalist)[3].

وهي تعني قدرة الإنسان في حياته اليومية على ممارسة المعرفة والتفكير وفقا للوعي بعيدا عن المشاعر والعواطف[4]، تأكيد بقيمة العقل والحاجة العقلية.

والعقلي نسبة للعقل، والعقلاني نسبة إلى من يؤمن بحكم العقل ويستدل به دون التجربة.

2-المذهب العقلي: (Rationalism):

مذهب أبستمولوجيا في المحل الأول، يرى أن المعرفة والحقيقة ينبغي أن تختبر آخر الأمور بالوسائل العقلية الاستنباطية، لا بالوسائل الحسية، وينظر العقليون إلى المعرفة كمصدر مستقل للمعرفة، لا يعتمد على التجربة في شيء[5]، فالعقل بما ركب فيه من استعدادات أولية ومبادئ قبلية، هو وسيلتنا الوحيدة للمعرفة اليقينية.

وقد لجأ التفكير الفلسفي إلى المذهب العقلي مبكرا، فقد اعتقد الإيليون أن العالم الحقيقي لا يعرف إلا عن طريق الفكر الخاص، دون الحواس، ثم اقتفى أفلاطون أثرهم، والمذاهب الفلسفية الكبرى في الفلسفة الحديثة ديكارت، سبينوزا، ليبنز[6].

---

[1]-جميل صليبا، معجم فلسفي، ج1، المرجع السابق، ص 84.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، "مادة العقل"، المرجع السابق، ص 232.

[3]-جون كوتنهام، العقلانية "فلسفة متجددة"، تع: محمود منقذ هاشمي، مركز الانهاء الحضاري، حلب، ط1، 1997م، 13.

[4]-إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،2001،ص 63.

[5]-هنثرميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، المرجع السابق، ص 432.

[6]-إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، المرجع نفسه، ص 63.

ولقد اتخذ المذهب العقلي صورا ثلاثة في تاريخ الفكر الفلسفي:

أ. **المذهب العقلي الميتافيزيقي:** يمثله أفلاطون، ويرى أن الحقيقة الواقعة في ذاتها تعد فكرة من أفكار، ويمكن معرفتها عن طريق الفكر الخاص.

ب. **المذهب العقلي الرياضي:** ويمثله ديكارت، سبينوزا يرى أن كل علم من العلوم خاصة علم الطبيعة، ينبغي أن يتخذ صورة علم الرياضة، لوضوحه ومبادئه القائمة على البرهان.

ج. **البرهان العقلي الصوري أو النقدي:** يمثله كانط بوضعه نهاية مقبولة لنزاع بين المذاهب العقلية وصورتها التقليدية الكلاسيكية لكل من أفلاطون، ديكارت، سبينوزا، وبين التجريبيين لوك، كوندياك، فكان مذهبه نقدي[1].

3-لعقل عند العقليين:

أ-العقل عند العقليين الغرب:

يعد ديكارت من أبرز الفلاسفة العقليين، الذين اسسوا صرح المذهب العقلي حيث وضع المنهج الموصل إلى الحقيقة، حيث يقول "العقل هو أعدل الأشياء قسمة أو توزيعا بين الناس".

منتقدا الحواس والتجربة، بقوله: "إن التجربة قد دلتنا على أن حواسنا قد خدعتنا في مواطن كثيرة وأنه من قلة التبصير أن نطمئن إلى من خدعونا ولو لمرة[2]".

ويقول:« كل ما تلقيته وآمنت به حتى اليوم بأن أثق بالحواس، غير أني جربتها في بعض الأحيان، فوجدتها خداعة، ومن الحكمة عدم الاطمئنان لمن خدعونا ولو لمرة»[3].

ومن هنا يتضح لنا أن ديكارت انتقل من معرفة الحواس إلى معرفة العقل، وهذا الأخير يبين لنا مدى يقينية الأفكار، منطلقا من البداهة التي هي أساس العلم الرياضي، فالمنهج الرياضي،

---

[1]-إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة حديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 64-65.

[2]-رونييه ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة: عثمان أمين، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1993م، ص 54.

[3]-رونيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1969م، ص73.

منهج طبيعي للفكر، وبسب نجاح العلوم الرياضية وتفوقها[1]، لأن العقل اقتبسها من ذاته دون أن يدين بتجربة لشيء.

-ايمانويل كانط:

إن كانط مر بثلاث مراحل فكرية في حياته، أولها: المرحلة ما قبل النقدية وهي ما يسمى بالمرحلة العقلية، وتظهر من خلال كتابه "إيضاح جديد للمبادئ الأولى الميتافيزيقية" سنة 1755م[2]، حيث يؤكد بدوي اتجاهه لنزعة عقلية سواء في المنهج أو لغاية.

استخدم كانط العقل بمعنيين واسع وآخر ضيق ومحدود:

أ. **العقل بمعنى الواسع:** هو ملكة المعرفة القبلية وهو ينبوع القبلي ويتحقق في وظائف التفكير العقلية، وفي التصورات والاحكام، وخصوصا في أسس المعرفة.

ب. **العقل بالمعنى المحدود:** متميز عن الذهن، الملكة العليا للمعرفة "ملكة المبادئ"[3] لأنه لا يتحقق الوحدة العليا لتفكير.

وإذا رجعنا إلى نظرية أنسكاغوراس في المعرفة وجدنا أنه قال بما قال به من قبل برميندس وهيرقليطس وأنبادوقليس من أن المعرفة الحسية معرفة وهمية خاطئة وأن المعرفة العقلية هي الصحيحة[4].

ويقسم برميندس المعرفة إلى قسمين ضنية وعقلية:

- **المعرفة الضنية:** ليست جديرة بأن تسمى معرفة لأنها تصورات شعبية وهمية.
- **المعرفة العقلية:** هي الحقيقية لأن الحواس تصور خيالا والمعرفة، والعقل بصور الوجود الحقيقي.

والعقل عند أفلاطون وأرسطو هو ملكة أو قوة أو جزأ من النفس، ويميزان بينهما على اساس النفس مبدأ الحياة، والعقل مبدأ المعرفة، أما هيجل فيتخذ معنى آخر للعقل، فهو الهوية بين

---

[1]-مصطفى غالب، ديكارت، منشورات دار مكتبة الهلال، د.ط، 1985م، ص 62.

[2]-عبد الرحمان بدوي، ايمانويل كانط، ج1، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1977م، ص 129.

[3]-عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م، ص 681.

[4]- عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المرجع نفسه، ص 338-270.

الفكر والوجود، ويضعه برجسون في مقابل الوجدان ويقرر أن يعقل أداة علم والوجدان أداة فلسفة[1].

ب–العقل عند العقليين العرب:

ومن أهم الفلاسفة العرب الذين دعوا إلى تمجيد العقل باعتباره الدليل والحكم الفيلسوف **ابن رشد** الذي كان صاحب أصرح اتجاه عقلي.

فالعقل عنده هو مقياس المعرفة خاصة النظرية، والنزعة العقلية عنده هي قبل كل شيء، نظام وترتيب ومنهجية وتفكير، من خلال نشاط العقل في بناء الواقع[2]،أي لا بد للعالم من عقل ولا مناص للعقل من العالم، فعملية المعرفة لا تملك مصداقيتها ومشروعيتها إلا بفضل العقل.

ويفرق ابن رشد بين ثلاث أنواع من المعرفة الخطابية والجدلية والبرهانية، أدقها البرهانية لأنها تبدأ من المبادئ الأولية للعقل، وهي الوضوح والبداهة[3].

أما **الفرابي** فيرى أنه هو النفس التي يحصل بها الإنسان على اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة لا بالمقياس والفكر، بل بالمفطرة والطبع، والمقدمات هي مبادئ العلوم النظرية[4]، فالعقل تجارب كلما زادت كانت نفسا ثم عقلا وهو الشيء الذي صار به الإنسان إنسانا.

ولم يكن ابن رشد وحده من العرب الذي أشار إلى دور العقل، إضافة إلى الفرابي، ابن سينا، الغزالي، أبو بكر الرازي، ابن باجة، ومذاهب فلسفية ودينية. والعقبة المعرفية في عقل العرب، هو توظيف عقلنا في اسوق المعرفية توظيفا لفظيا رمزيا، وجعله عاجز عن الفعل بسيادة العمل

---

[1]– عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 681.

[2]–عبد الرحمان التليلي، ابن رشد الفيلسوف العالم، المنطقة العربية التربية والثقافة والعلوم، تونس، د.ط، 1998م، ص 25.

[3]–إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة حديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 65.

[4]–جعفر آل ياسين، الفرابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1425هـ–1985م، ص 374.

لا الكلام، فجوهر ما يسمى اليوم بالعلم هو البحث لا الاعتقادات.والبحث العلمي يكون بعقل الممكن والمستحيل، وبمنهج ورياضيات[1].

مسلمات المذهب العقلي:

إن قراء إنتاج إلى بعض من ينتمي إلى العقلانية من المفكرين والفلاسفة أمثال: أفلاطون، ابن رشد، ديكارت، سبينوزا...إلخ توحي بأن هذه النزعة تقوم على أساس مصدر واحد، وهو الأصل الأول لعالم الإنساني، ومصدره الأسبق، هو العقل ولهذه المصادر مسلمات جزئية وهي:

1. الحقيقة واحدة ولدى جميع الناس[2].
2. المعرفة اليقينية التي تصدق في كل مكان وزمان وما يصدق مرة يصدق أبدا، فقد تتغير مظاهر الأشياء، ولكن ماهيتها تبقى[3].

لأن منطلقها معايير البداهة والوضوح والتمييز، كما يرى ديكارت[4]:

- معرفة موحدة وتتصف بأنها مطلقة، ثابتة، وضرورية[5].
- العقل يتضمن الحقائق والتصورات الكلية لمبادئ العامة بمنطلق الأول والآلي للمعرفة.
- ليس حكرا على المعرفة المجردة، كانت أو مادية فمنها ما يستمد كذلك "الفيلسوف الأخلاقي"، أي قدرة العقل على إدراك الحقيقة.

---

[1]–خليل أحمد خليل، العقل في السلام، دار الطباعة لنشر، بيروت، لبنان، ط1، أغسطس، 1993م، ص 25.

[2]–توفيق الطويل ،أسس الفلسفة، المرجع السابق، ص 268.

[3]–مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دراسة تحليلية ونقدية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، أكتوبر 1996م، ص 13.

[4]–مصطفى غالب، ديكارت، المرجع السابق، ص 62.

[5]–محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلم، المرجع السابق، ص 120.

المبحث الثالث: المنهج ومفهوم التجربة عند التجريبيين

1-مفهوم التجربة:

اولا-لغة: من مصدر جرب، جمع تجارب الاختبار والمحاولة، نقول علمته التجارب، أفادته وجرب الرجل تجربة، اختبره، ورجل مجرب، عرف الأمور وجربها[1]، والمجرب مثل المضرس* والتجربة من أغمض المصطلحات الفلسفية، فالواقعي يعرف التجربة مثلا على أساس لا يقبله المثالي والعكس بالعكس[2].

ثانيا-اصطلاحا: ويعني مصطلح التجريبي (Empiricism) المشتق من اللفظ اليوناني (empeiria) ويعني التجربة experience كما يعني استخدام المناهج الموضوعية على أساس التجربة وليس على أساس النظرية[3].

فلفظ تجربة يطلق على المعارف التي يكتسبها العقل بتمرين ملكاته المختلفة لا باعتبارها داخلة في طبيعة العقل بل هي مستمدة من خارجه، هي داخلية وخارجية، الأولى بطرق الادراك والحس، والثانية بطريق الشعور[4].

2-المذهب التجريبي (Empiriclism):

هو مذهب ابستيمولوجي القائل أن مصدر الصحيح والوحيد هو التجربة فالمعرفة لا يمكن أن تتجاوز التجربة تقابل المذهب القبلي أو الأولي، لا سيما العقلي[5].

ويعد المذهب التجريبي الحسي (sensationalism) من أقدم المذاهب في التاريخ والفكر الفلسفي، ظهر عند اليونان ممثلا في مذهب الذريين لدى لوقبيوس وديمقراطيس وأبيقور الذين

---

[1]-ابن منظور، لسنا العرب، مادة "جرب"، المرجع سابق، ص 583.

*-المضرس: هو المجرب والمحنك، نقول: ضرسته الأيام جربته وحنكته، ضرسه الزمان، اشتد عليه.

[2]-هنثرميد، الفلسفة ومشكلاتها، المرجع السابق، ص 424.

[3]-إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة حديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 247.

[4]-جميل صلبيا، المعجم الفلسفي،ج2، المرجع السابق، ص 243.

[5]-هنثرميد، الفلسفة انواعها و مشكلاتها، المرجع السابق، ص 442.

فسروا العالم تفسير ميكانيكيا دون التفسير الغائي وردوا المعرفة إلى الحس لصدقها وانطلاقها مع الواقع[1].

أي معرفة الواقع لا يمكن ادراكه بمنهج باستنتاج العقلي بل بمنهج واقعي يلاحظ الظواهر، ويتخذ من التجريب طريقة برهانية للوصول إلى الحقيقة.

وهي النقيض العملي للبرغماتية واللاهوتية والعقلية، العقل لا يمكنه أن يستخرج من نفسه أفكار من نفسه أفكار جاهزة، كما يقول زعيمهم هيوم: "لا يمكن أن نثبت إلا ما نرى"[2].

وتبعا لهذا المدلول يميز التجريبيين بين التجربة المادية والمثالية:

- **التجريبية المادية:** تفهم التجربة على انها حصيلة تأثير أشياء العالم الخارجي، وظواهر على حواس الإنسان.
- **التجريبية المثالية:** تقتصر في التجربة على جملة الأحاسيس.

ولقد قامت المادية بالتصدي للاهوت والنزعة المدرسية في القرون الوسطى، التي كانت عائق العلوم التجريبية، وتطورت التجريبية بعد توماس هوبز وجون لوك وتلميذه الفرنسي كوندياك، على أرضية مثالية لدى بركلي وهيوم[3].

اولا–التجربة عند التجريبيين الغرب:

لعلنا نغالي إذا قلنا أن العلم التجريبي بدأ أول عهده مع فرنسيس بيكون فقد كان فيلسوفا واقعيا، أقام فلسفته على صرحين الملاحظة الخارجية والتجربة العملية، وكان منهجه في البحث والمنطق الجديد، ازاحه للمنطق الأرسطي، الرامي إلى تجريد العقل من المعتقدات والأوهام وتجنبها[4].

أوهام الكهف، أوهام سوق، أوهام قبلية، أوهام المسرح.

ومنهجه العلمي تمثل في وضعه برنامجا لتمكين الإنسان من السيطرة على الطبيعة من خلال:

- تصنيف شامل للعلوم.

---

[1]–إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، مرجع نفسه، ص 247.

[2]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 175.

[3]–جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، تر: راوية عبد المنعم عباس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1987م،ص 10.

[4]–مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق، ص 69.

- جمع المعطيات التجريبية من المشاهدة.
- إجراء التجارب.
- استخدام الاستقراء "بمعناه الجديد".
- وضع إثبات التعليمات الاستقرائية، ووضع فلسفة شاملة[1].

ويشار إلى أن الجد الأكبر لفرنسيس بيكون من المذكورين في تاريخ المنهج التجريبي، أنه **روجر بيكون** 1214-1294م، الملقب بأمير الفكر العلمي في العصور الوسطى، فقد مارس التجريب ووصل إلى نتائج باهرة في عصره بالكيمياء وطب العيون، ووضع تنبؤات تحققت في ميادين الفلك والميكانيكا[2].

إضافة إلى رائد المنهج التجريبي **جاليلو** الذي لقب بأب الطريقة التجريبية ومن دلائل تجاربه، الملاحظة تحت ظروف يمكن التحكم فيها، وأظهر أن الأشياء التي تتكون من مادة واحدة تسقط بمعدلات سرعة واحدة، مهما اختلفت أحجام وأوزان الأشياء[3].

أما **لوك** فيطرح افتراضات لإثبات مذهبه من خلال قوله: "إذا افترضنا أن العقل لوحة بيضاء، ومن أين يحصل على معارفه وأفكاره؟ ويجيب: من التجربة، وهي تشمل مصدرين الاحساس والتأمل[4]، وإذا قلنا أنا نعرف أشياء بالتجربة يعني استخدمنا حواسنا"، وقد كان أعمق من هوبز وبيكون.

فالتجربة هي التي تنقش المعاني المبادئ:

- ظاهرة واقعة من الأشياء الخارجية "الإحساس".
- باطنة واقعة من الأحوال النفسية "التفكير"[5].

فإذا جاء لفظ التجربة مفرد في اللغة الفرنسية دل على تجارب الحياة، أما إذا جاء لفظ تجارب كان واقع المعرفة العلمية حسب "**كلود برنار**"، فلا ينبغي أن نشاهد فقط بل نستشير

---

[1]-عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المرجع السابق، ص84.

[2]-يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 6

[3]-أحمد بدر، أصول البحث و مناهجه، المرجع السابق، ص 265.

[4]-عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفة، ج1، المرجع السابق ،ص 374.

[5]-يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 134-138.

التجارب، وخلق الوقائع العلمية[1]، مثلا الطب كان يقتصر على الملاحظة وكان سببا في عقم أبحاثه، ...إلخ.

ثانيا–التجربة عند التجريبين العرب:

الكندي: هو فيلسوف العرب الأول، الذي تبدأ المعرفة عنده بالإدراك والحواس، فنحن ندرك بالحس هذه الشجرة وهذا كتاب، وهذا زيد...

فالحس أساس التعرف على الموجودات الخارجية، "الحس دليل إثبات وجود باليقين، بل يشك بمن لم يقم على الحس ولا دليل"[2].

كما لجأ ابن حزم إلى المشاهدات والتجارب في إثبات جسمية الهواء، وإنكار الخلاء، واثبات كروية الارض، مما أبقى نظريته في الطبيعة أساسها نظرة علمية، لا تختلف عن التصور العلمي الحديث[3].

أما ابن خلدون أول من استخدمه في العلوم الاجتماعية في دراسة المجتمع ولد في مقدمته أفكار عظيمة تتعمق في المنهج التجريبي، فأفعال البشر نتيجة تجربة في التعامل.

وكان الحسن ابن الهيثم أول من وضع أصول هذا المنهج في مقدمة كتابه "المناظر" من ملاحظة الظواهر الجزئية، وإخضاعها لتجربة باستعانة بالآلات التي اخترعها للوصول إلى قانون علمي يفسر الظاهرة[4].

ونشير إلى أن فرنسيس بيكون استشهد في كتاباته بابن الهيثم وابن سينا والكندي، وحنين ابن إسحاق والبطروجي الفلكي...

---

[1]–رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، المرجع السابق، ص 224.

[2]–الصاوي الصاوي أحمد، الفلسفة الإسلامية، دار النصر للتوزيع والنشر، الجيزة، د.ط، 1998م، ص 117.

[3]–رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، المرجع نفسه، ص 233.

[4]–توفيق الطويل، أسس الفلسفة، المرجع السابق، ص 135.

مسلماته:

مسلمة واحدة جوهرية، الأساس لكل معرفة التجربة:

الطريقة التجريبة أي الطريقة المتمثلة في الملاحظة والتجربة والتصنيف و الفرض والتحقق

العقل لا يستطيع أن أي بالفطرة، ولا يملك بالفطرة شيئا[1].

- المعاني والتصورات ليس لها القدرة على إضفاء صفة الصدق
- رفضوا المبدأ الصوري كمعيار الاخلاق، فحتى هي تخضع لتجربة.

يقول أرسطو: "الحواس أبواب المعرفة ومن فقد حسا فقد علما".

والعلم في كل تصوره يرجع الى التجربة .[2]

1-رسول محمد رسول، المعرفة النقدية "مدخل الى نظرية المعرفة في الفلسفة"، دار الكندي لنشر و التوزيع، الاردن، ط1، 1422-2001، 18 -

2-رسول محمد رسول، المعرفة النقدية، المرجع نفسه، ص 19

الفصل الثاني: فلسفة العلم عند سبينوزا

المبحث الأول: نظرية المعرفة وأزمة اليقين

المبحث الثاني: نظرية المعرفة وتطور فلسفة العلم

المبحث الثالث: المنهج والعائق الابستيمولوجي

تمهيد:

من المعروف أن أوروبا في العصور الوسطى كانت تعش في حالة من الظلام الفكري الدامس، وكانت واقعة تحت ضغط من السلطة الكنيسة الطاغية التي تتعقب المفكرين أينما كانوا، وقد ظل الصراع هناك محتدما بين العلم والدين[1]، بين المفكرين واللاهوتيين، كانت المسيحية والدين سائدة في مجتمع تحكمه سلطات الدين والدولة، ومن الصعب إيجاد مكان لرياضيات وفروع المعرفة العلمية داخل جامعات القرون الوسطى لم يكن العلم القديم مؤسسة مستقلة بذاتها ومناهجها ونواميسها وشرائعها ورجالاتها لقد بدأت مرحلة العصور الوسطى كمعلول مباشر للأديان السماوية، وأصبحت الفلسفة التي تعني بشيء العلوم والمعارف المكتسبة والمباحث العقلية أصبحت دينية وخادمة للاهوت

أصبحت النظرة الانطولوجية أساس الوجود والكيان الأعلى المفارق لطبيعية وكل الجهود الابستيمولوجية تسلم بالوحي أو الدين هو المحور، فكانت حضارة دينية، وساد الدين كمنهج معين لتفكير والبحث...

فالمعلم المميز لدين هو اقترانه بالكتاب المقدس منزل من رب العالمين "الانجيل" و"القرآن الكريم" والكتب السماوية زاخرة بحقائق مسلم بصحتها، قضايا الكلية لا جدال في يقينيتها، مقدمات للخروج بجزئيات أو نتائج ضرورية الصدق، و"القياس الأرسطي" أكثر المناهج ملائمة لتعامل مع الكتب السماوية، وبذلك أصبح منهج القرون الوسطى وأصبحت فلسفة أرسطو فلسفة رسمية للكنيسة.

غير أن عصر النهضة قد زعزع بجرأة أركان هذه الصورة وبدأت أفكار تختلف عن تلك التي كانت سائدة فبعد أن ساد التفكير الغائي والنظام الصارم الذي لا يمكن أن يعرف تغييرا بما أنه يخضع للقدر[2]، وهذه الزعزعة كانت خطر على كل المفاهيم وخاصة الدينية لأن بعد أن رفض اللاهوت والفلسفة المدرسية، أصبح الواقع عاريا من كل أساس نظري له، فنشأ العلم الحديث

[1]–محمود حمدي زقزوق، الدين والفلسفة والتنوير: تحرير: رجب البناء، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1996م، ص 78.

من أجل غطاء نظري له من أجل سيادة الواقع بنظريات أكثر دقة وضبطا من الموروث القديم[1]، فالغائية سيطرت على العصر الوسيط بينما سيطرت الآلية على العلم الحديث، الدين ارتبط بالغائية والعلم بالآلية.

وهنا قدم العلم أساسه النظري البديل حاملا تصورا جديدا للكون والإنسان مستندا إلى العقلانية والمنهج، كان في رؤيته الشاملة ومرجعياته النظرية والفلسفية متأثرا بالثقافة السائدة وهي تكاد تكون مادية، لقد كانت السلطة التي اكتسبها العلم مختلفة كل الاختلاف عن الإحكام القطعية للقرون الوسطى[2].

[1]–حسن حنفي، قضايا معاصرة في الفكر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ج2، ط3، 1988م، ص 22.

المبحث الأول: نظرية المعرفة وأزمة اليقين

إن التفكير الفلسفي في القرن السابع عشر قد أوضح أن العقل الإنساني، قد حرر نفسه إلى حد كبير من الاعتماد على سلطة اللاهوتية وكان "المنهج الديكارتي" ميدان النزاع الكبير مع الكنيسة، لأنه كشف عالمه عن طريق البحث العلمي ويعتبر سبينوزا من أكثر الديكارتي الذي استوعب دعوة ديكارت إلى تحرير العقل من التراث الموروث[1].

ولا سبيل لذلك سوى اتباع المنهج الديكارتي لتحقيق غايته، لكنه لم يأخذه كله، فقد حذف مقدمته في شك واكتفى بالأفكار الواضحة وأخذ يطيق منهجه في كل مجلات التي استبعدها ديكارت نفسه.

الاستنباط العقلي:

هو اصطلاح أدخله ديكارت وأتباعه من الديكارتيين خاصة سبينوزا، على القياس الأرسطاطاليسي ليتفاد وعقمه، وهو يشارك القياس في أن النتيجة تلزم بضرورة عن مقدماته ويخالفه في أنه ينتج وليس عقيما كالقياس الأرسطي[2].

فالنتيجة في الاستنباط الرياضي متضمنة في مقدماته.

الا ان الاستنباط يتميز عن القياس في الابتكار الذي ينشأ من خيال الرياضي، الإضافة إلى تميزه بالتعميم، وهذا ما تلاحظه في القياس النتائج دائما تكون أخص من مقدماته، وهذا لا نلمسه في الاستدلال الرياضي، الذي سمته التعميم، فالاستدلال يكون فيه بالانتقال من البسيط إلى المركب أو من الخاص إلى العام، وهو قائم على أسس، كالتعريفات والمسلمات أي (البديهيات والمصادرات) ومنه تنشيط النظريات الرياضية.

فمنهج البحث عن الديكارتيين مبني على أساس الحدس والاستنباط العقلي وهو انتقال الذهن انتقالا سريعا ومباشرا إلى مجهول، وهو نوع طبيعي فطري يمكن للإنسان من إدراك أفكار البسيطة والحقائق الثابتة والروابط بين قضية وأخرى إدراكا مباشرا في زمان واحد وليس التعاقب[3].

---

[1]–إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 130.

[2]–توفيق الطويل، أسس الفلسفة، المرجع السابق، ص 114.

[3]–توفيق الطويل، أسس الفلسفة، المرجع نفسه، ص 117.

وبعد مرحلة تأتي مرحلة الاستنباط العقلي، وذلك من خلال الانتقال بالذهن من أشياء مجهولة إلى أخرى معلومة، وهذا على شكل برهان بمبادئ عامة (بديهيات) ونستخلص منها نتائج أو معرفة يقينية.

سبينوزا يرى "أن وجود الشيء هو نفسه إدراكه"[1].

مناهج البحث عن الحقيقة تبدأ لإدراك بالحدس المباشر ثم تولد من الحدوس نتائج عن الاستنباط، وعلى هذا الأساس قامت الفلسفة العقلية في التاريخ الحديث، فهو منهج لا يرتكز على التحقيق التجريبي، العلوم بكاملها والفلسفات والمناهج بأنواعها والفنون والآداب بأشكالها إلا أجزاء من خبرة الفكر والعقل.

قال سبينوزا: "إذا غاب العقل ظهرت الخرافة وإذا سادت الخرافة ضاع العقل"[2]، إن الدارس لفلسفة سبينوزا يلمس التغيير والتجريد في كل خطوة من خطوات فلسفته، فمن خلال أفكاره تبين أنه تجاوز جميع منطلقات غيره من الفلاسفة الذين سبقوه سواء في الفكر أو الزمن وهنا نقف على النقطة المتمثلة في تقديمه للعلم الطبيعي.

سبينوزا منهجه استنباطي بامتياز والتعبير النهائي عن فلسفته هو كتابه "الأخلاق"، المبرهن عليها في نظام هندسي يعلن فيه سبينوزا نظاما فلسفيا كليا يسير في موازن هندسة إقليدس.

فالتعريفات مدرجة والبديهيات وعدد كبير من القضايا والاستنتاجات المبرهن عليها بالتفكير الذي يسوغه في كل مرحلة بطريقة دقيقة مندرجة عن التعريفات والبديهيات[3].

لم يكن سبينوزا أول من ربط بين المنهج الهندسي وبين الكتابة الفلسفية فقد استخدم هذا المنهج جزئيا في العصور القديمة في كتابات "فورفوريوس" و"برقلس"*.

---

[1]–زكي نجيب محفوظ، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق،ط4،1993،ص98

[2]–سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1982م، ص 13.

[3]–جون كوتنغهام، العقلانية، المرجع السابق، ص 59.

*–برقلس: بالعربية فرقلس، فيلسوف أفلاطوني محدث، جمع بين التفكير الرياضي والتفكير الفلسفي الميتافيزيقي. انظر: موسوعة بدوي، المرجع السابق، ص 347.

أما في عصر سبينوزا ذاته, ادت نهضة العلوم الرياضية ونجاحها الهائل في ميدان الفلك والفيزياء إلى دعوة الكثير من المفكرين وعلى رأسهم "ديكارت" إلى الاقتداء بدقة الرياضيات كمثل أعلى للمعرفة البشرية وميادينها[1].

غير أن استخدام سبينوزا لهذا المنهج في كتاباته كانت له دلالات خاصة، فقد اشترط أن يكون العقل الرياضي أساسا لجميع أبحاثه العلمية المدققة.

اصطنع دراسة نتائجها أقرب إلى كتب الهندسة، إلا أن موضوعاتها أو مضمونها كان في البحث عن الغاية الأخلاقية، فقد كان يتبعها بعضها ببعض، وينهي كل نتيجة بقوله يعتز به "هذا ما كان يجب اثباته"، بهذه الطريقة المرصوصة التي تقود إلى الشروط العليا لسعادة معتمدة على الضرورة العقلية والحدس[2].

لقد صرح سبينوزا نفسه بأنه أراد أن يستخدم المنهج ليستعبد من تفكيره كل عامل شخصي، ولكي يبحث في انفعالات البشر، بنفس الموضوعية التي يبحث بها عالم الهندسة في النقط والخطوط والهندسة، لكننا نعتقد أنها وسيلة لإخفاء آرائه الحقيقية عن القراء السطحيين بحيث لا يتوصل إليها إلا المثقفون الذين لديهم من العمق العقلي ما لا يجعلهم خطرا عليه[3].

يرى سبينوزا أن أكثر العلوم يقينا هي الحدس والاستنباط والمنهج المطلق "المنهج الرياضي" ذلك لعدة أسباب:

يمتاز الاستنباط الديكارتي عن القياس الأرسطاطالسي، فالأول معارفه جديدة تكسب بالتأمل العقلي القائم على أسس رياضية عكس القياس الذي نتائجه عقيمة متضمنة في مقدماته[4].

فسبينوزا يرى أنه لا يوجد العقلانية واحدة وشاملة للإنسان والطبيعة، والاستنباط نموذج اليقين الصارم الذي يؤدي بصلابة إلى إظهار النتائج على نحو منطقي من المبادئ الأولى.

---

[1]–فؤاد زكريا، سبينوزا، سلسلة الفكر المعاصر، التنوير، بيروت، 1981، ص 37.

[2]– مرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3]–عمر مهيبل، دلائل البعد الميتافيزيقي في المنهج الهندسي عند اسبينوزا، مجلة دراسات فلسفية، العدد الأول، جامعة الجزائر، 1996م، ص 144.

[4]–توفيق الطويل، اسس الفلسفة، المرجع السابق، ص 117.

أما فيما يخص المنهج الهندسي:

- الهندسة في ذلك الوقت كانت للعلم التام واليقين وغير قابلة للاختلاف.
- اعتقاده بإمكانية الوصول إلى الحقيقة على غرار ما قدمه إقليدس في الرياضيات من منهجية ودقة ووضوح.
- الحد من الاختلافات التي تتسم بها الفلسفة في تطبيق المنهج الهندسي باعتماد على البراهين التي تكون صحيحة أو غير صحيحة لكن غير قابلة للاختلاف.

يقول راسل عن كتاب الأخلاق لسبينوزا: "إن الكتاب كله معروض على طريقة هندسة إقليدس... إنه عمله من أروع أعمال التفكير المنضبط والدقيق"[1].

هنا نلتمس نزعة سبينوزا العقلانية واضحة في تقديمه لكل هذه المناهج المعرفية، فهو ينقص من قيمة المعرفة الحسية ليرفع من شأن العقل ،فعقلانيته أشد جلاء منها لدى سالفه ديكارت[2].

[1]–برتراند راسل، حكمة الغرب، ج2، ترجمة : فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1973، ص 62.

[2]–جماعة من الأساتذة السوفيات، موجز تاريخ الفلسفة، تر: توفيق سلوم، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ص 174.

المبحث الثاني: نظرية المعرفة وتطور فلسفة العلم

في رسالته في تهذيب العقل تناول سبينوزا طبيعة المعرفة وأنواعها والسبيل المناسب للوصول إلى الفهم الصحيح لكل ما يمثل خير للإنسان وذلك عن طريق علاجه للأوهام وأخطائه وتطهيره بمنهج سليم يستطيع التمييز بين الأفكار الغامضة والواضحة والأهم من ذلك إثبات وحدة العقل والطبيعة وأنه ليس هناك تناقض بين الروح والجسد، الفكر والمادة تلك الثنائيات التي سيطرت على تفكير ديكارت.

واكتشافاته في رسالته هي اثبات وحدة العقل والطبيعة والقضاء على الثنائيات التقليدية في تاريخ الفلسفة والعقل وحده هو وسيلة ذلك.

المعرفة عند سبينوزا هي "إدراك الصحيح"، لذلك فهو يبدأ البحث عن أنواع الإدراك أي "المعرفة"، وهي درجات وليست على مستوى واحد من اليقين.

أ–المعرفة السماعية: "الإدراك الشائع"

وهي المعرفة التي تنشأ مما يتناقله الناس، فأنا أعرف بقصة أصحاب الفيل، عن طريق سماع وأعرف تاريخ ميلادي وأحداث طفولتي عن طريق السماع، معرفة تقوم على أساس تداعي المعاني والذكريات، معرفة لا يمكن الوثوق بها، لذلك فهي معرفة خاطئة[1].

ب–المعرفة المستمدة من التجربة البحتة الاستقرائية:

معرفة ظنية معرفة لم يتحقق العقل من صدقها رغم أننا لم نعثر على أي ظواهر أو وقائع تعارضها، وتكاد تكون المعرفة العلمية من هذا النوع.

فأنا أعرف من تجربتي أن الماء يطفئ النار، النفط وقود النار، ومع ذلك فإن مثل هذه المعرفة صفات عرضية للأشياء هي أدنى درجات المعرفة يحصلها الفكر من إدراك الجزئيات عن طريق الحواس وهي معرفة مهملة لا ترقى إلى اليقين[2].

ج–المعرفة الاستدلالية : ويمكن أن نسميها الاستنتاجية لأننا نحصل عن طريق الاستنتاج، أي استنتاج ماهية تنشأ من أجزاء أن ندرك النحو الذي تحدث فيه نتيجة ،فحين أعرف طبيعة

[1]–هادي أركون، منهج سبينوزا في قراءة الكتاب المقدس، الحوار المتمدن، العدد 47، 2015م.

[2]–إبراهيم مصطفى ابراهيم، فلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 197.

البشر أعرف أن الأشياء تبدوا من بعيد صورة أقل مما تبدوا عليه في الحقيقة، أستنتج أن الشمس أكبر مما تبدوا عليه في الحقيقة صدقها احتمالي ممكن ولكن ليس يقيني[1]:.

د-المعرفة الحدسية (الحدس)*:

هي معرفة تنشأ في إدراك شيء ما من خلال ماهيته أو بسبب قرينه، وهو علم مباشر فأنا أعرف على سبيل المثال :بواسطة الحدس أن النفس والجسد متحدان، وأن اثنان وثلاثة مجموعهما خمسة، وأن الخطان الموازيان لثالث متوازيان.

وهذه المعرفة الوحيدة البريئة من الخطأ خالصة من الشوائب وقد وثق سبينوزا بالحدس كمعرفة مباشرة[2].

وهكذا نستنتج أن المعارف حسب سبينوزا ثلاث أنواع:

- **حسية:** تنشأ من الانفعالات وهي بإمكانها أن تقدم مفاهيم تتعلق بنوع منتظم ومبعثر.
- **عقلية:** وهي تتعامل مع المفاهيم عامة بطرق استدلالية.
- **حدسية:** وهي تقوم على العلاقة بالمطلق وحدها الأولى يمكن أن تكون مصدرا للخطأ[3].

---

[1]-Spinoza Benedic de, On the important of the understanding Transtated by : R.H.M. ELWes, Dover publication, Newyork, 1955, P08.

*-الحدس: معرفة عقلية مباشرة هو بصيرة العقل ورؤيته الطبيعة الشيء وماهية في استيعاب مباشر، هذا لا يعني أن الحدس والتصور شيء واحد، لأنه ليس وليد التجربة والحس، يقول ديكارت: "أنه تصور الفكر الخالص".

[2]-محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، ج4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ص 50.

[3]-بيتر كونزمان، فرنك وآخرون، أطلس dtv الفلسفة، تر: جورج كتورة، تيبوبرس، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص 111.

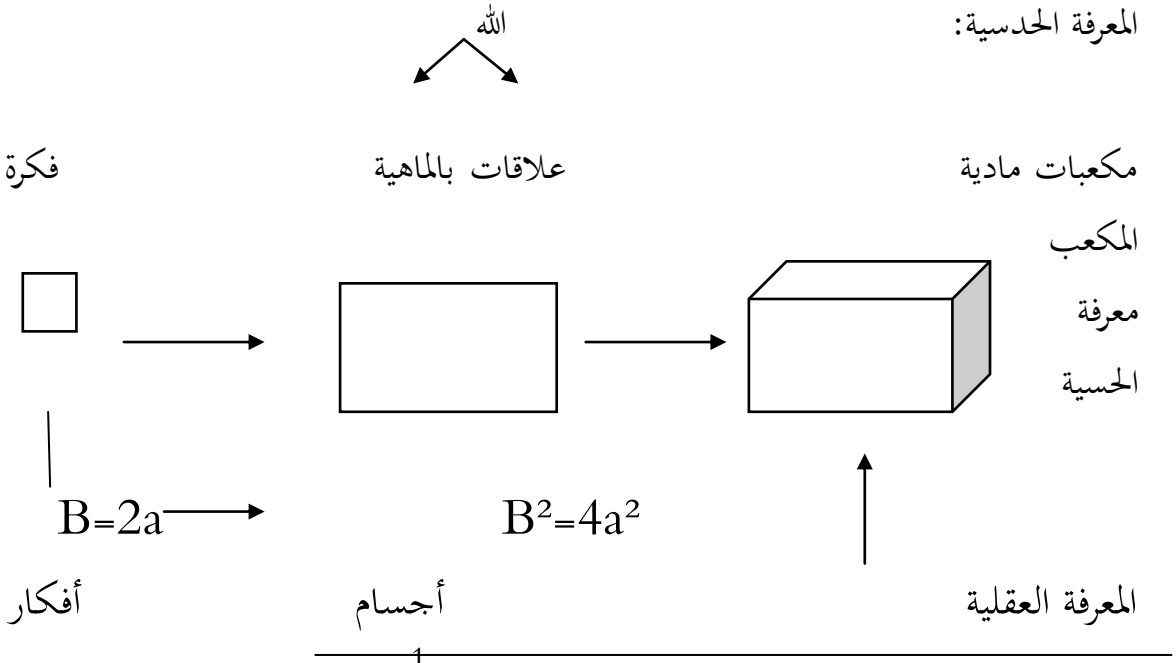

نظرية المعرفة عند سبينوزا[1]:

ويرى سبينوزا ان الفكرة الصادقة هي مسلكنا الوحيد في المعرفة، فهي تكفل ذاتها بذاتها أو بتعبير سبينوزا يتجلى وضوحها من خلال ماهيتها الذاتية، ويطلق عليها اسم الفكرة الوافية[2].

فالفكرة الصادقة هي معيار الصدق فكما أن الضوء يكشف عن نفسه وعن الظلام في آن نفسه كذلك فإن الصدق هو معيار نفسه ومعيار الكذب في نفس الوقت.

ومن حصل على معرفة صادقة عرف أنه حصل على معرفة لا يمكن أن يشك فيها.

فكما استخدم الإنسان في بداية الأدوات التي زودته بها الطبيعة في صنع أدوات أخرى فكذلك استخدم العقل في بداية الأمر ،كقوة فطرية في صنع أدوات عقلية التي زادت من قوته على القيام بمعطيات عقلية أخرى، وهكذا انتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى حتى وصل إلى قمة الحكمة من تحقيق السعادة القصوى.

[1]-بيتركونزمان، أطلس الفلسفة، المرجع السابق، ص 112.

[2]-كريم متى، الفلسفة الحديثة، منشورات جامعة فاريوس، بنغازي، ط2، 1988م، ص 92-93.

كان سبينوزا يقول إن سائر الفلاسفة ينطلقون من العلم ،وانطلق ديكارت من ذاته أما هو فينطلق من الله وتفرض نقطة الانطلاق التسليم المسبق بصحة الطريقة الهندسية، وبصدق البديهيات التي هي أساس البراهين[1]، إنه المبدأ الذي يبرر البرهان الأنترلوجي لأننا ندرك بوضوح ان الوجود يخص الطبيعة الإلهية، فهذه الطريقة قريبة من طريقة ديكارت، لأن ديكارت يحاول أن ينتقل من الفكر الوجود أو دليل من الهندسة[2]، حاول فيه أن يستخلص وجود الله من فكرة الله ذاتها على نحوها نستخلص صفات المثلث أو تعريفه كذلك فكرتنا عن الله باعتباره كائنا كاملا متناهيا تستلزم وجوده بالضرورة، ففكرة الوجود متضمنة عن فكرتنا عن الكائن الكامل عن نحو زوايا المثلث متضمنة في تعريفه.

دلائل وجود الله:

أ–الدليل الأول: إذا كانت ماهية الله تتضمن وجوده فإن الله ينبغي أن يكون موجودا بالضرورة لأن الله هو الوجود والواقع، بإسناد قاعدي الوضوح والتمايز التي يقوم عليها "البرهان الديكارتي"، اليقين الديكارتي[3].

ب–الدليل الثاني: يستند على مبدأ عقلانية الطبيعة أو العلية في الطبيعة القائمة على العقل والضرورة وأن كل شيء موجود وراءه سبب، ويكون ما في الطبيعة الشيء ذاته وخارجه، أو في عدم وجود الشيء في ذاته أو خارجه، لكن لا يمكن أن يكون السبب خارج الله لأن الله لا متناهي ويشمل كل الموجودات، ولا يمكن أن يوجد في ذاته لأن ماهية الله وجوده بالذات، ولذلك أن يمنع وجود الله لا في داخل الله ولا خارجه، فالله موجود بالضرورة[4].

ج–الدليل الثالث: يستند هذا البرهان إلى القول بأن الوجود مع القدرة على الوجود عجز، فإذا وجد المتناهي فاللامتناهي موجود بالضرورة، لأن الأول أقوى من الثاني بصورة لامتناهية، وهذا تأكيد على وجود اللامتناهي بالضرورة وهو الله.

---

[1]–جينيفياف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، تر: عبده الحلو، دار المنشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، أكتوبر 1977م، ص 119.

[2]–رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود محمد الحضيري، مر: محمد حلمي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط3، ص 1985م، ص 137.

[3]–محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، المرجع السابق، ص 106.

[4]–كريم متى، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 107–108.

ج–الدليل الرابع: يستند إلى قدرة الله الذاتية، لأنه الكائن اللامتناهي المطلق، له قدرة وقوة ذاتية مطلقة[1].

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن المعرفة تتكون من أفكار، هذه الأفكار مجردة لكنها في نفس الوقت أفكار الأشياء عينية، فالجسم ملموس، أما فكرة الجسم كما تتعامل معها الفيزياء مثلا فهي شيء مجرد.

لذلك يرى سبينوزا أن لكل شيء مادي الفكرة التي تعبر عنه ومن هنا ليس هناك انفصال بين الفكر والامتداد.

فالشمس مثلا: شيء مادي محسوس ومشاهد.

الشكل الكروي هو فكرة الشمس.

والدائرة هي فكرة الكرة.

بالرغم من تجريدية الأفكار إلا أنها تدل على شيء ممتد وبسيط ومصدر التجريد وعمومية الفكرة أنها لا تشير مباشرة إلى الشيء المادي بل إلى فكرة الشيء المادي، فالدائرة تشير إلى الشمس عبر الشكل الكروي*.

وبما أن سبينوزا بدأ نسقه المعرفي من الله فكل شيء يلزم عن طبيعة الله بالضرورة وقد صاغ المعرفة في شكل نسقي منظم بمنهجين، منهج صاعد ومنهج نازل[2].

1–المنهج الصاعد: بمثابة مدخل او بداية للمنهج النازل، وغايته هو النهوض بالفهم والارتقاء به، وهو معرفة ميتافيزيقية.

---

[1]–محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي ، المرجع السابق، ص 108.

*–كل حادثة جسدية تواري حادثة على مستوى العقل، كل ما يشعر به الجسد من إحساس يشعر به العقل شعور أو فكرة، مثال: الجوع إحساس جسدي، والرغبة في تناول الطعام شعور عقلي، والإنسان هو المخلوق الوحيد يرتبط بحالة الامتداد والفكر وهو جزء من الطبعية.

[2]–ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، تر: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص 90.

2 –المنهج النازل: يقدم فيه سبينوزا حقائق عن الله، والعالم في صورة تعاريف ثم يستخلص مفاهيمها المنطقية للأشياء الأكثر جزئية، وهذا هو المنهج أو الطريقة التي اتبعها في كتابه "الأخلاق"[1].

ولا تناقض بين المنهجين فالأول بداية الثاني.

فكلما كانت معرفة العقل للطبيعة معرفة أفضل عرف نفسه أكثر، وتكون بداية المنهج بداية أفضل لمعرفة أوسع ونهاية موضوعها الكائن الكلي، وهكذا فقد كان منهجه توجيه العقل نحو الفترة الأغنى والأكثر واقعية[2]، أي الطبيعة كاشفا عن مصدرها "الكائن" الواحد غير متناهي إنه الوجود بكامله ولا شيء موجود إلا به.

فكرة الله هي النظام الضروري للكون، تعبر عن السعي الإنسان إلى بلوغ المثل الأعلى للمعرفة من خلال العلم الصحيح، لأن كل شيء يفسر من خلال الضرورة الكلية للكون والتحرر من الجهل بالأسباب وإغفال الطبيعة الضرورية للحوادث، فيكسب العقل راحته الكبرى أما الضرورة الكونية الأزلية الواضحة والشفافة[3].

يرى سبينوزا أن هناك جوهر واحد هو الله، والعالم كله مظهر من مظاهره، فالعالم هو لا نهائي ليس لديه بداية ولا نهاية والحقيقة المثالية اليقينية.

لقد اتبع سبينوزا الطريق الذي فتحه ديكارت وذلك في الطريقة التي يتحكم بها مبدأ العلية عند ديكارت في التخطيط العقلي، ولا نقصد به مبدأ العلية الرباعي الذي نجده عند أرسطو، حيث توجد لكل علة أو على الأقل لكل الشيء في العالم المحسوس، علة مادية وعلة صورية، وعلة فاعلة وعلة غائية، فاستبعد ديكارت العلتين المادية والغائية، وأبقى على العلة الصورية والفاعلة، اللتان ربطا بينهما، وهذه الأخيرة كانت الطريق الذي اتبعه سبينوزا، وهي سبب عقلي أو سبب علة صورية يظهر ذلك على وجه الخصوص في البرهان الثالث على وجود الله الذي كانت له أهمية كبرى وهو برهان ماهية الله.

---

[1]–ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 90.

[2]–جون كوتنغهام، العقلانية، المرجع السابق، ص 124.

[3]–فؤاد زكريا، سبينوزا، المرجع السابق، ص 228.

ومن هنا أصل نظرية الفكرة عند سبينوزا تبدأ في عرض مذهب ديكارت في لمحة واحدة، أو نقطة مضيئة، أن الله هو معقولية العالم وهو الطبيعة العقلية بوجه عام، ولكنه أيضا الإدارة اللامتناهية.

لقد أحدث سبينوزا ثورة حقيقية في الفكر والدين والواقع السياسي والاجتماعي، فرسالته كانت ثورة على الأوضاع الثقافية والسياسية في عصره وكل عصر، وذلك بتطبيق النول الطبيعي في مجالي السياسة والدين، حتى لا يخلط الناس بين البدع الإنسانية والتعاليم الالاهية، بين التصديق السادج و الايمان الصادق، والتمييز بين الوقائع[1].

يمكن إخراج سبينوزا من القرن السابع عشر وإلحاقه بالتراث النقدي كله للقرون التالية.

سواء في النقد الفلسفي في القرن 18م، أو النقد العلمي للقرن 19م أو النقد التاريخي في هذا العصر، يبدوا سبينوزا معاصرا أشد معاصرة، كما يبدوا النقد التاريخي المعاصر وكأن جذوره في مناهج سبينوزا النقدية.

يرى سبينوزا أنه ينبغي دراسة المشكلات السياسية والاجتماعية دراسة علمية، بعيدا عن الأغراض الدينية والأخلاقية، فلا نستطيع أن نحصل على فكرة وافية عن المبادئ الأساسية لدولة، إلا إذا حصلنا على فكرة وافية أو صادقة كما أسلفت سابقا لمبادئ الفلسفة الطبيعة (الفيزياء، علم النفس)، فكل ما يحدث من تغييرات في المجتمعات البشرية ناتج عن قوانين الضرورة[2].

إذا أردنا أن نصبح أحرارا فعلينا فهم الطبيعة فهما عقليا، قصد سبينوزا تحرير الآراء الفردية فيما يتعلق بالإيمان، شريطة أن تميل هذه الآراء إلى محبة الإنسان، تحرير الآراء الفردية اتجاه الدولة شريطة أن تحافظ على انسجامها معها.

والأهم من ذلك تحرير البحث الفلسفي حول الله وطبيعة وسبيل الحكمة خلاص واحد[3].

---

[1]–سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، المصدر السابق، ص 11.

[2]–إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 208.

[3]–إتيان بالبيان، سبينوزا والسياسية، تر: منصور قاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1931م، ص 10.

1-الأخلاق عند سبينوزا:

نلمس في الاخلاق عند سبينوزا "الأخلاقية الرواقية*" حيث يجري بحثه حول تصحيح الفهم يناقش مسألة الخير الأعظم في الأخلاق مثل الشرف واللذة والسعادة.

كما أكد على الاختلاف بين الدين والفلسفة وأن وظيفة الدين وهدفه هو السلوك العلمي، وهذا ما أكده في رسالته عن مسألة التسامح ويكمن غرض الدين في وضع المبادئ الأخلاقية السامية.

فالأخلاق عند سبينوزا ليس عنصرا أو جزءا من فلسفته ،بل فلسفته كلها أخلاقية في مبادئها وأسسها وغاياتها ومساعيها[1].

2-السياسة والمجتمع عند سبينوزا:

يعتبر سبينوزا هو الوحيد الذي طبق المنهج الديكارتي في السياسة فدرس أنظمة الحكم وقارن بينهما.

- نقد أنظمة الحكم التسلطية القائمة على حكم الفرد المطلق.
- النظام الديمقراطي أكثر الأنظمة اتفاقا مع العقل والطبيعة.
- حدد الصلة بين الفكر والواقع، الدين والدولة، بين مهمة المفكر والسياسي.

وهكذا كان سابقا عن كانط وهيجل في هذا اللون من التفكير السياسي[2]، لتحقيق الصلة بين الفكر والواقع.

---

*-سمي بالرواقية لأن "زينون" الفيلسوف صاحب المذهب، كان يعلم تلاميذه في رواق 622 وهم يرون أن السعادة في الفضيلة مردها إلى الإنسان جزء من الكون، وأن سلوكه تمليه عليه الطبيعة. انظر: دليل أكسفورد، ج1، المرجع السابق، ص 623.

[1]-سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، مراجعة: كتورة، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 18.

[2]-غنارسكيربك ونلزغيجي، تاريخ الفكر الغربي"من اليونان القديمة الى العصر اليوناني"،ترجمة : حيدر رجاج اسماعيل، مراجعة: نجوى نصر، بيت الحمراء، بيروت، ط1، ابريل، 2002 ، ص ص 436-337.

كن هجوم سبينوزا على الملوك لأنهم يستغلون الحكم الديني لمصلحتهم، فالنظام الملكي هو فن خداع الناس، لأنهيزين لهم باسم الدين الخوف الذي يريده الأقوياء، و أن يبقى الشعب مستعبدا وتبقى الرعية تخضع[1].

ولا ينبغي لأي من الدين أو الدولة المساس بحرية الفكر وتعاليمه فيما يخص المجتمع هنا نجده عكس هوبز، فهو لا يعتبر الملكية بل الحكومة الديمقراطية اسمي شكل السلطة[2].

لقد أحدث كتاب سبينوزا رسالة اللاهوت والسياسة لما احتواه من انتقادات السلطة التقليدية والقانون السياسي، ثورة كبيرة، لقد وضع نفسه في مجازفة كان واعيا بها كان في ظروف مليئة بالتناقضات والأخطار[3].

دستور سبينوزا:

- يستحيل سلب الناس حرية التفكير والتعبير.
- لا يهدد الاعتراف بحرية الفردية هيمنة السلطة وحقها.
- لا يمثل التمتع بالحرية الفردية خطر على الدولة كما لا تهدد الايمان بالأديان.
- تعجز القوانين الصادرة عن تنظيم الأمور النظرية.
- ضرورة الحرية للمحافظة على السلام والإيمان وعلى حق السلطة العليا والتفلسف لا يمثل خطر لا على الدولة ولا على التقوى، بل القضاء عليه يؤدي إلى ضياع السلام والتقوى ذاتها[4].

---

[1]–منذر شباني، سبينوزا واللاهوت، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، 2009م، ص 11.

[2]–بول هازال، أزمة الوعي الأوروبي، تر: يوسف عاصي، مر: سام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، يوليو 2009م، ص 552.

[3]–ايتيان بالبيان، سبينوزا و السياسة، المرجع السابق، ص 09.

[4]–سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، المصدر السابق، ص 106.

تأتي الدولة معبرة عن الوعي و التناقضات في الحق الطبيعي من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي، أي من مستوى الشهوة التي تمثل العيش الفرد فردانيته بمعزل عن الآخرين إلى مستوى عيش العقل الذي يمثل عيش الفرد لفردانيته أيضا ولكن على مستوى أو ضمن نظام المجتمع[1].

كان سبينوزا يحاول استخلاص مجموعة من القوانين من فوضى الواقع الاجتماعي، وتجسيد الالتزام بالقوانين لأنها النتيجة التي تجعل الحكومة صالحة فالدكتاتورية هي ألد أعداء الحرية سواء الفكرية أو السياسية.

فالبشرية تود العيش وفق العقل في سلام لذا يتعاون الأفراد، فحقوق الفرد الاجتماعية تحدده إرادة الجميع لا الفرد، وهكذا نشأ العقد الاجتماعي طبق القانون الطبيعي وهو الرغبة في رفض خير قليل لخير أعظم.

وهكذا بقاء الذات هي أساس قانون عام، والحرية السياسية هي مبتغى الرجل العاقل ،والديمقراطية تنشأ من اجتماع الناس وفق قانون عام، ولقد لقيت أفكاره رواجا كبيرا خاصة في فرنسا، فقد أكد على تفسير العالم من العالم نفسه، وترك تأويل التفاصيل للعالم الطبيعي في المستقبل.

3-الحرية عند سبينوزا:

كان سبينوزا حر في تفكيره بشكل غير محتمل ،خلاصة التحررية الهولندية للعلاقة بين الحرية السياسية والانتعاش التجاري.

إن الرخاء الاقتصادي الذي كانت تعيشه هولندا، كانت له أثاره على الحياة الفكرية والسياسة والاقتصادية والعلمية، خاصة حرية الفكر يقول عنها ديكارت "ليس ثمة غير هذا البلد فيه الحرية أكمل والأمن أعظم والجريمة أندل، وسلطة العادات القديمة أروع[2].

وهذا المناخ الفكري المتحرر ساعد سبينوزا أن يكون من أكبر وأهم فلاسفتها وتياراتها الفكرية والثقافية التي سلكت اتجاهات سبينوزا الفلسفية والنقدية.

---

[1]-Spinoza Benedic de, Apolitical Trealise Translated by : R.H.M. ELmes, Dover publication, New york, 1951, P308.

[2]-ول ديورانت، قصة الحضارة، تر: فتح الله محمد المشعشع، دار الجيل، بيروت، ج3، 1992م، ص 83.

لقد كان سبينوزا رائعا في تحويل واقعية هوبز العابسة لفكرة تحررية ودعواه أن الدولة لا تكون حرة إلا إذا أمنت بالحقوق المدنية، وحرية الضمير[1]، كانت له دقة ملاحظة هوبز.

بإضافة إلى حبه الشديد للعدالة، فهو يرى وجوب تحرير الفرد من قيوده وجوب اعطاء الفيلسوف الحرية في تفسير العالم ومحو السلطة اللاهوتية التي تضطهد التفسير الحر، والمصلحة الشخصية حتى المسيحية يجب أن تكون معقولة[2].

جبرية سبينوزا:

جبرية سبينوزا، استنباطية في وصف الحقيقة وتفسيرها فمن البديهيات الأولية في كتابه الأخلاقيات، يفسر أنه من علة محددة معينة ينجم معلول بالضرورة وكان هذا هو هدف هيوم في نقد العقلانية.

لكن سبينوزا ذهب إلى أبعد من أن العلل تحتم معلولاتها، إنه ينكر أن يشمل الكون أي حوادث عارضة (غير ضرورية) مهما كانت.

ليس في الكون شيء عارض، فهي ضرورية كضرورة الطبيعة الالاهية وهي دليل على واحدية سبينوزا[3].

وبالرغم من حتمية سبينوزا الشاملة فإن يرى بانه لكل شخص مبدأ داخلي أو قدرة على البقاء وذلك من خلال التعبير عن طبائعنا، ومقاومتنا القوى الخارجية، نستطيع أن نكون أحرارا[4]، فالإنسان الحر هو الذي يهتدي بعقله إلى الدولة التي يعيش فيها في ظل القانون.

"فلو نطق المثلث قال أن الله مثلثي تماما، ولو نطقت الدائرة لقالت إن الله مستديري،

---

[1]–هارولد لاسكي، نشأة التحررية الأوروبية، تر: عبد الرحمان صدقي، مر: علي أدهم، دار مصر للطباعة، الفحالة، د.ط، د.ت، ص 83.

[2]–هارولد لاسكي، نشأة التحررية الاوربية، المرجع نفسه، ص 90.

[3]–جون كوتنغهام، العقلانية، المرجع السابق، ص 68–69.

[4]–جلال الدين سعيد، معجم مصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب لنشر، د.ط، 2004م، ص 106.

فالبشر كالطين في يدي الخزاف الذي يصنع من المادة نفسها أوني يرصد بعضها لشرف والأخرى للعار"[1].

إن الجديد في حتمية سبينوزا أنما هو تلك الوحدة بين السببية الطبيعية والسببية العقلية.

لقد كان سبينوزا فيلسوفا طبيعيا حتميا ومع ذلك كانت فلسفته دينية بعمق إن لم نقل صوفية، مثل ليبنز النظرة الدينية والطبيعية[2].

دراسة الكتاب المقدس دراسة علمية:

لما أدرك الفكر الغربي أن أزمته تكمن في دينيه اتجه على دراسة الدين دراسة علمية موضوعية، وفق مناهج حديثة، واكتشافه لحقائق تتعارض مع ما وراء الكتاب المقدس، ذلك لأن التطور العلمي المتلاحق والمتدفق أحرج الكنيسة مرارا وزاد من التشكيك في مصداقيتها، كما يقول سبينوزا، أن الأخطاء العلمية في الكتاب المقدس هي أخطاء بشرية تشبه أخطاء الطفل الذي لم يتعلم بعد[3].

وتتلخص نظريته الشهيرة "أن القصص والمعجزات الواردة في الإنجيل كالمشي على الماء، وشفاء الأعمى، والأساطير كانت وسيلة وحيدة لتصور العالم، أو لتفسير ظواهر الطبيعية، هي وسيلة لإقناع الناس بسيطرة العقلية الخيالية الأسطورية لذلك الزمان"، قبل العلم الحديث، كانت سائدة العقلية البدائية أو الأسطورة[4].

لقد أراد سبينوزا نزع الأسطورة وتقديم قراءة علمية تليق لعصره، وبوعي عصره، الذي أصبح مغموسا بالعقلية العلمية خاصة في أوروبا.

---

[1]– جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، المرجع السابق، ص 130.

[2]–ولترستيس، الدين... والعقل الحديث، تر: إمام عبد الفتاح، مكتبة مدلولي، القاهرة، ط1، 1998م، ص 173.

[3]–موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، تر: فوزي شعبان، منشورات دار SEGHRS، د.ط، 1981م، ص 168.

[4]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار المعارف، ط3، مصر، د.ت، ص 76.

منهج تفسير الكتاب عند سبينوزا لا يختلف عن المنهج الذي نتبعه في تفسير الطبيعة، بل يتفق معه في جميع جوانبه، فكما أن منهج الطبيعة يقوم أساسا وقبل كل شيء على ملاحظة الظواهر الطبيعة، وجمع المعطيات اليقينية ثم الانتهاء إلى تعريفات الأشياء الطبيعية[1].

كذلك الكتاب المقدس يحتم علينا أن نحصل على معرفة تاريخية مضبوطة وبعد الحصول على معطيات ومبادئ يقينية تنتهي إلى استنتاج مشروع لفكر مؤلفي الكتاب[2]، وهي تستطيع دون التعرض للوقوع في خطأ أن نكون فكرة عامة تتجاوز حدود فهمنا.

ويعتبر النقد التاريخي للكتاب المقدس، أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة، وهو أحد مكاسب الحضارة الأوروبية لدراسة الكتاب ومن أشدها النزعة العقلية، لاعتمادها الدليل التاريخي وخاصة هوبز الذي تجاوزه سبينوزا في وضع خطوط المنهج العلمي.

نتج هذا العلم عن تأليه العقل في القرن السابع قرن سبينوزا، فكما لطبيعة نظام هناك قواعد الضبط الرواية، لا فرق بين الظاهر الطبيعة والنص الديني، كلاهما يخضع للعقل وقوانينه[3]، وقد حمل لواء النقد في هذا العصر سبينوزا.

وقد اعتبر شأنه شأن فرنسيس بيكون وديكارت عام الطبيعة وتحسين أحوال الانسان، الغرض الرئيسي للمعرفة، إضافة إلى حريته في نطاق قيود الضرورة[4].

طبق المنهج الديكارتي تطبيقا جذريا في مجالات استبعدها ديكارت، مجال الدين الذي سبب له محاولات اغتياله، عكس ديكارت الذي كان صديقا لرجال الدين.

فإذا كان ديكارت في مثله سلة التفاح يريد تنقية الأفكار الواضحة فإن سبينوزا يطبق المنهج النقدي التاريخي ليفصل آياته الكتاب الصحيحة والمكذوبة[5].

أولا: فحص طبيعة اللغة وخصائصها حسب الاستعمال الشائع.

ثانيا: تجميع الآيات وتصنيفها حسب مواضعها المحددة حسب التشابه والاختلاف.

---

[1]–جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، المرجع سابق، ص 91.

[2]–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]–سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، المصدر السابق، ص 20.

[4]– م .روزنتال .يودين، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 243.

[5]–منذر شباني، سبينوزا واللاهوت، المرجع السابق، ص 10–11.

ثالثا: ربط الفحص التاريخي لجميع الملابسات التي حفظتها لنا الذاكرة[1]، (السيرة المؤلف، أخلاقه، غايته، الوقت، الزمان...).

سبينوزا ينتقد وجهة نظر رجال الدين الذين يفرضون القبول بصحة الكتاب دون نقد أو تفسير والذين حولوا الكنيسة إلى أكاديمية واللاهوت إلى علم بل جدلا.

سيبنوزا بدل من جعل اللاهوت علما بحث عن الأسباب التي لا تجعله علما من خلال:

- **أولا:** إبراز هدف الكتاب.
- **ثانيا:** نوع المعرفة التي يتمنها.
- **المنهج التاريخي:**

منهج يكرس البحث الطبيعي، يعتمد على الاستقراء وجمع المعطيات والانتقال إلى النتائج عن طريق الاستنباط أو النور الطبيعي، منهج عقلي صارم لا يقبل إلا البرهان والدليل والوضوح ويبين من خلاله رؤية الكون والعالم والانسان.

قواعده:

أ–النقد الفيلولوجي (فقه اللغة*): من خلال تتبع تطورات اللغة وأزمة تطورات القواعد اللغوية، والنحوية، والصرفية، فصعوبة الألفاظ العصور القديمة سمحت تأويل لذلك عمد إلى كتابة عمله الشهير "الأخلاق" بلغة هندسية، بطموحات ابستيمولوجية، في مقابل الطموحات العقائدية الأيديولوجية لدعاة اللاهوت[2].

فاللغة هي بنت الخيال وليست بنت العقل، أو بالأحرى هي أداة الخيال لا العقل إن اللغة قاصرة، وتقدم تراكيب لفظية لا تدل على الماهية كما انها لا تقدم إلا وصفا .مثل قولنا لاجسماني ،غير مخلوق، ذلك لأننا نتخيل النقائض بسهولة أكبر فهي ميدان للخطأ

وهكذا نمارس بحثا علميا ولا نمارس تأويلا، ونضع حدا فاصلا بين الانطباع الشخصين والحقيقة.

---

[1]– منذر شباني، سبينوزا و اللاهوت المرجع السابق، ص 34.

*–فحص اللغة وأصبحت تعرف في أوساط الدراسات اللغوية، والتاريخية المعاصرة بالفيلولوجيا، وفقه اللغة دراسة الوثائق المجهولة، العصر والمؤلف، وفك الرموز اللغوية للوثيقة. انظر، مندرشباني، سبينوزا و اللاهوت، مرجع نفسه، ص 34

[2]–سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص ص 04–05.

ب-النقد البنيوي (نسبة إلى البنية): نقد اقتضى منه معالجة ضمن منحنيين:

1-الصراع مع السلطة ورجال اللاهوت.

2-كشف المستوى المعرفي لسواء الأعظم لخضوعه للاديولوجية بقدر خضوعه للبنية المعرفية، باستثمار سلطة النص لتحقيق الطاعة.

يؤكد سبينوزا أن ما لا برهان لديه على ما يؤمن فهو غير قادر على إدراك هذا الإيمان أصلا، وكل ما يقوله سطحيا، غير مرتبط بالفكرة، شأنه شأن الببغاء أو الجهاز الآلي لا يدل على أي معنى أو فكرة.

ج-الإحصاء:

وهي خطوة تنظيمية نقوم فيها بالجمع والتصنيف تحت موضوعات أساسية عددها محدود[1]، الأمر الذي يكشف عن الآيات من تشابه أو اختلاف أو تعارض، أو تناقض و السياق العام كفيل بذلك في عملية استدلالية ولا يستحسن فيها إحكام العقل لأنه يدخلنا في تأويلات إضافية، بل استدلال على اللغة في حدود الكتاب.

وهنا يكشف الذهن على نوع المعرفة التي يتضمنها الكتاب والتي تساعدنا عن إزاحة الطبيعة العلمية للكتاب.

إن ما يقدمه الكتاب معرفة سماعية، وهي ليست معرفة علمية، أول لمعارف المشكوك فيها، التي عددها سبينوزا في كتابه "إصلاح العقل"[2]، وقد سبق أن ذكرت ذلك أداة أوهام ،كالأشجار تتحدث، أناس يمسخون ينابيع ومجاري و أشباح تظهر، آلهة تتحول إلى دواب وبشر ... وكثير من هذا القبيل .أداة للجهل تنتشر كالنار في الهشيم.

فإذا كان الاستقراء هو المنهج المستعمل على مستوى معرفة الكتاب معرفة تاريخية توثيقية فإن الاستنباط هو المنهج الذي لابد منه على مستوى النتائج فهو وحده القادر على الوصول إلى المعرفة الواضحة، التي لا تحقق إلا بالنور الطبيعي الفطري، ذلك أن هذه المعرفة تستنبط الأشياء الغامضة وتستخلفها بوصفها نتائج مشروعة من الأشياء المعروفة[3].

---

[1]-سبينوزا، رسالة في اللاهوت و السياسة، المصدر السابق، 244.

[2]-سبينوزا، في إصلاح العقل، المصدر السابق، ص 84.

[3]-سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص 34.

لقد وضع سبينوزا دون مبالغة خطوط المنهج العلمي في تفسير الكتاب، وقد اختفت فترة الوحي، أما التطبيق الصارم لحرية النقد بأدوات التي اكتشفها[1] لأنه أدرك أهمية هذا العلم الذي جهله القدماء واكتشفه العلم الحديث لتحكيم العقل وتطبيق قواعد المنهج التاريخي على الرواية.

ومنه توالت القراءات النقدية لنصوص بكافة الأشكال وولدت كثير من المناهج والمدارس والفلسفات أهمها الفينومينولوجيا، والهيرومنطيقا.

[1]–هارولد لاسكي، نشأة التحرية الاوربية، المرجع السابق، ص 90.

المبحث الثالث: المنهج والعائق الابستيمولوجي

يتشابه البرنامج الفلسفي لسبينوزا في أحد المستويات لبرنامج ديكارت وليبنز ويختلف في المستوى الآخر.

لكنهم كلهم يهتدون إلى نسق جامع للمعرفة يستند أساس إلى العقل وليس المعطيات التجريبية، هذا النسق الذي يتسم بيقين كامل ابتداء من أساسه حتى نتائجه المتميزة[1]، فالصورة الأعلى التي يمثلها البرهان الرياضي أنه نسق مستمد من الاستنباط خطوة فخطوة من البديهيات والمصادر الأصلية، وما تؤخذه هذه البديهيات والمسلمات على انها صحيحة حتى يلزم عنها بقية النسق منطقيا، وعلى نحو يكاد يكون محتوم، نحن في هذه الحالة ننتقل من سلسلة لا تنقطع قوامها، استدلال غاية في الدقة من بديهيات اصلية إلى عبارة وهو المطلوب إثباته والتي تختم بها البرهان على النظرية الهندسية بالوصول إلى النتيجة تكون لنا سلسلة تامة التكامل من التفكير المنطقي تترابط بدورها مع نسق كامل من الاستدلال[2].

ومن هنا تكون الحقيقة والبطلان واضحة والمعيار الوحيد للحقيقة هو الترابط وهنا نبدي إعجابنا بهذا الترابط بهذا الإحكام المنطقي بوصفه مثلا اعلى لأنه يشمل كل معرفتنا وتجربتنا.

لكن فيلسوفا تجريبيا يسارع إلى القول بأن جنة المعرفة هذه تربض فيها حية رقطاء، هذه الحية هي نظرية الترابط وكل نسق استنباطي لا ينطوي على حقيقة إذا شأنا الدقة[3].

فكل ما لدينا في هذه الحالة هو اتساق منطقي الذي يستحسن أن يسمى بالصواب، والذي لا تربطه علاقة ضرورية بالواقع أو العالم الموضوعي أو بالنظام الخارجي، ويمكن أن نسمي هذا الترابط المنطقي بالفراغ بالنسبة إلى الواقع الموضوعي[4].

والفرق بين الحقيقة والصواب.

مثلا: في المذهب الألوهية، تشيد مسلمات معينة، النفس، الحرية، الإرادة مسلمات ومقدمات التي تبدأ منها استدلالاتنا بالاستنباط نسوغ النتائج.

- نستطيع أن ندرك صحة هذا المنهج.

---

[1]–ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 67.

[2]–هنترميد، الفلسفة وانواعها و مشكلاتها، المرجع السابق، ص 170.

[3]–هنترميد، الفلسفة وانواعها و مشكلاتها،المرجع نفسه، ص 190.

[4]–المرجع نفسه، ص 180.

- صحة استدلالاتنا.
- وطبيعة بديهياتنا ومصادراتنا الأصلية.

وقد اثبتت التجارب أن الذهن البشري يستطيع من التجريب أن يصل الى مستوى رفيع من الدقة في استخدام الاستدلالات الاستنباطية.

وهنا كيف يمكننا الوصول إلى مقدمات تكون من الصلابة بحيث تستطيع تحمل الثقل الهائل الذي يرتكز عليه سلسلة الاستنباطات[1].

هذه البديهيات الأصلية تستمد عادة من الرياضيات، الموقف الطبيعي أو نظر العقليين، ولن تستمد من ذات يقين الحدس، أو النور الطبيعي.

للعقل، فالوضوح الذاتي لفظ يسهل استعماله ولكن يصعب إثباته، فالأوليات هي بدورها يصعب إثباتها، فالمبدأ الذي يراه العقل سابق عن التجربة كثير ما يراه التجريبي مستمد من التجربة.

وقول سبينوزا عن الاستدلال أو المعرفة الاستدلالية[2].

كما ان اتصال الحدوس المتتالية هو الذي يحدد قوة الاستدلال، إضافة إلى اعتماده على الترتيب ان لم نقل المنهج بكامله او على الأقل سره الرئيسي و هده السلسلة من الاستدلالات الطويلة تجعلنا من الصعب أن نتحقق من اتصالية البرهان. محاولة معرفة الحقيقة الباطنة في الأشياء، وأن نصل إلى يقين يتجاوز الاحتمال، عندما نضع شيئا لا يمكن أن يكون على خلاف ما نتصوره. يثير التساؤل حول ماهية الشيء نفسه وقدرتنا على إدراكه.

فالاحتمال غير الإثبات والبحث عن اليقين التام مغامرة عقلية استثنائية[3].

---

[1]–هنترميد، الفلسفة وانواعها ومشكلاتها، المرجع السابق ، ص 180.

[2]–كريم متي، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 95.

[3]–جينيفياف روديس لويس، ديكارت والعقلانية،المرجع السابق، ص 29.

كيف يستدل الشخص من معرفة حدسية، تختص بحالة الشخص العقلية إلى موضوعات غير عقلية، فالإنسان هنا يتجاوز خبرته الذاتية إلى خبرات موضوعية[1].

ففي رسالة سبينوزا الرقم 56 إلى هوجو يوكسل:

يقول: "من الصحيح تماما أننا كثيرا ما نسلك في العالم بالتخمين ولكن من غير الصحيح أن نمضى في تأملاتنا بالتخمين فنحن مضطرون في الحياة المعتادة إلى السير وقفا لما هو مرجع أما في تأملاتنا النظرية غايتنا الحقيقية.

وإن المرء يهلك جوعا وعطشا إذا رفض أن يشرب ويأكل إلا بعد أن يثبت إثباتا كاملا أن المأكل والمشرب نافعان، والأمر في الفكر[2]".

كذلك يحذرنا شوبنهور من الإفراط في الاعتماد على البرهان مؤكدا هناك حقائق لا تنفع فيها المعرفة البرهانية.

وكذلك من عوائق العقل، أن ثوابت الذهن البشري هي التي تحدد الموقف العقلي وتضمن وضوح الأفكار وصلاحية الاستنتاجات والافتراضات.

لكن لا يمكن قبول هذا التصور السلوكي للعقل حالما تلامس لواقع التفكير العلمي، فضلا عما إذا تقبلنا تصرف البشر الفعلي على أنه واقعة وأردنا تحديد دلالة العقل الإيجابية ودوره وفعاليته، وانتصاره يجب فهم العوائق التي تحد من انشغاله وتحكم من قدراته.

يقول سبينوزا: "لا تضحك لا تحزن لا تكره بل افهم، وأن إذا أضفنا وأفعل نحصل على تعريف مقبول في نظرنا للموقف العقلي".

[1]–إبراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، المرجع السابق، ص 126.

[2]–فؤاد زكريا، نظرية المعرفة، دار مصر لطباعة، الفحالة، د.ط، 1991م، ص 142.

إن العوائق أمام العقل هي المعطيات التي تمارس عليها قوته والسمات الطبيعية لطبيعة إنسانية هي دوما محل مراجعة وتغيير، فرغم مجهود الثوري المتجذر مثل مشروع سبينوزا، لتناول الانسان "كجزء من الطبيعة خاضع لقوانينها"، إلا أن الطريقة التي دعا إليها والتي تقوم على استنتاج الطرق انطلاقا من بعض التعريفات والأوليات، ظهرت عقيمة، ذلك الطابع الخاص لموضوعه وقيمته المقدسة، فالإنسان أسطورة في نظر الإنسان ذاته، فلا يدمج نفسه من قطيع الكائنات الطبيعية، وتطبيق أساليب المعرفة الموضوعية يبدوا ضربا من التدنيس.

الفصل الثالث: فلسفة العلم عند جون ستوارت مل

المبحث الأول: مشكلة الاستقراء وأزمة اليقين

المبحث الثاني: نظرية المعرفة وتطور فلسفة العلم.

المبحث الثالث: العلم والعائق الابستيمولوجي

تمهيد:

لقد كانت هناك ارهاصات اولى واضحة لظهور هذا النوع من المناهج ،بحيث كانت البشرية في حاجة ماسة إليه لدفع عجلة العلم إلى الأمام، من بداياته الأولى إلى حين الذي تتوق فيه الباحثين في العودة إلى الطبيعة واستخلاص المعرفة منها عن طريق جزئياتها الحسية، ومن هنا سوف نحاول ابراز مراحل ظهور المنطق الاستقرائي في تاريخ الفكر الفلسفي والعلمي من خلال أولا بداياته مع أرسطو، تطوره كمنهج علمي مع فرنسيس بيكون، مشكلة الاستقراء مع دافيد هيوم، والحلول التي قدمها جون ستيوارت مل.

لقد عرف الفلاسفة والمناطقة علم منطق تعريفات كثيرة من جميعها "أن المنطق علم نظري له موضوع خاص ومنهج محدد"[1].

وينقسم المنطق إلى قسمين المنطق الصوري، والمنطق المادي.

الأول: يهتم بصورة الفكر وطريقة التفكير و يضمن عدم تناقض الفكر مع ذاته .**والثاني** :يهتم بمادة الفكر ومضمونه، ويضمن مطابقة الفكر مع الواقع.

وأهم موضوعات المنطق الصوري الاستدلال المباشر، أو ما يعرف بالتقابل والعكس بين القضايا والاستدلال الغير مباشر يشمل القياس والاستقراء.

واهتم المنطق الصوري بنظرية القياس الأرسطي وأغفل نظرية الاستقراء تحت تأثير شراحه[2]، حتى أطلق عليه اسم المنطق القياسي، على أنه منطق شكلي صوري لا مادة له، وهذا ما دفع فلاسفة عصر النهضة إلى نقد المنطق الأرسطي ومحاولة تجريده، باعتماده منهج الفكر الاستقرائي، فظهر المنطق الاستقرائي المادي الذي يقوم على المنهج الاستقرائي المبني على الملاحظة والتجربة والفرض.

ومن خلال تتبعنا للمنطق الأرسطي نجد أنه اهتم بالمنطق الصوري وأهمل الثاني المنطق المادي، مما جعل شراحه يهملونه.

---

[1]–محمد علي أبو ريان، أسس المنطق الصوري ومشكلاته، دار النهضة، بيروت، د.ط، 1976م، ص 04

وفي تطورات العلم الحديث جرت محاولات لتجديد علم المنطق في القرن التاسع عشر فأصبح علم المنطق ثلاث أنواع مستقلة، هي المنطق الصوري، المنطق المادي، المنطق الرياضي

وتطور الاستقراء في علم المنطق من أحد الموضوعات الاستدلال إلى منهج علمي في العلوم الطبيعية وأصبح منطقا مستقلا بذاته، عن المنطق الشكلي القديم، وسمي بالمنطق المادي الاستقرائي.

المبحث الاول:مشكلة الاستقراء وازمة اليقين

-الاستقراء عند أرسطو:

لقد تناول "أرسطو" الاستقراء في كتبه بثلاث أنواع:

الاستقراء التام: وهو إحصاء كل الأمثلة الجزئية في مقدمات واضحة تنتهي إلى نتيجة عامة تدخل تحت كل الأمثلة الجزئية، وقد ضرب مثالا للاستقراء التام في كتابه "التحليلات الأولى."

الإنسان والحصان والبغل ....إلخ طويل العمر.

الإنسان والحصان والبغل ..... إلخ هي كل الحيوانات التي ليس لها مرارة

كل الحيوان التي ليس لها مرارة طويلة العمر.

هنا الاستقراء في صورة القياس، الذي يتألف من حد أكبر وحد أصغر، وحد أوسط، وهذه الحدود عبارة عن أنواع وليست إفراد جزئية يمكن استقرائها، فكانت المعالجة على شكل القياس[1].

إن الاستقراء أرسطو يعتمد على الإحصاء البسيط، ويتضمن أحكاما عامة ولا يتضمن ملاحظات جزئية، مما يجعل تعميمه لا يؤدي إلى نتائج.

الاستقراء الجدلي:

هو انتقال من أفراد جزئية إلى الكليات.

الربان الماهر هو الأفضل في عمله.

كذلك الأمر بالنسبة لسائق العربة الماهر[2].

الرجل الماهر بوجه عام هو الأفضل في عمله

بوجه خاص انتقال من حالات جزئية إلى حالات كلية، من المعلوم إلى المجهول.

وهذا يختلف عن التام، لأنه تصفح كل الحالات، ومقارنتها واستكمال النقص.

---

[1]-ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط،1985م، ص 148.

[2]-علي عبد المعطي محمد، المنطق ومناهج البحث العلمي، في العلوم الرياضية والطبيعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص 234.

الاستقراء الناقص "الحدسي":

برهان يستند إلى مقدمات صادقة تصل إلى معرفتها بالاستقراء، لأنه هو المنهج الذي يوصل إلى الإدراك الحسي الكلي، والتوصل إلى الكلي بواسطة الحدس، إنه يعتمد عن نوع من التأمل والاستغراق ولكنه لا يعتمد على الملاحظة أو التجربة أو حتى الإحصاء[1].

اهتم أرسطو بالتفكير القياسي في المنطق الصوري الذي يبرهن فيه يقينية النتيجة من مقدمات موضوعية، تشمل النتيجة ولم يناقش الاستقراء أو المنطق المادي الذي يهتم بالواقع وذلك لاعتباره أن الكلي أسمى من الجزئي.

إن الاستقراء عند أرسطو يلعب دورا هاما في مقدمات الكبرى للقياس، فهو الركيزة الهامة لمقدمات القياس، فلا مقدمات بلا استقراء ولا قياس بدون مقدمات، ويكون بذلك أرسطو أول الاستقرائيين، لكن ظروف الفكرية الاغريقية حالت دون أن يمارس الاستقراء جديا، أو يتوقف وينظر لنتائج التجربة[2]، فكان أهم العوائق التأسيسية للمنهج الاستقرائي، ولم تعقه فحسب بل أعاقت البشرية جمعاء لمة طويلة من الزمن.

لقد فهم المناطقة أن أرسطو عندما يتحدث عن الاستقراء يقصد به الاستقراء التام، واتفقوا على سذاجته، وهنا توجهوا بانتقادات الشديدة، للاستقراء الذي أصبح محور دراسة فلسفة العلوم وسعوا إلى اكتشاف منهج جديد يطابق الفكرة مع الواقع، وهو المنهج المادي الاستقرائي التجريبي.

---

[1]–ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، مرجع سابق، ص 327.

[2]–يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، (المنهج العلم، منطق العلم)، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، د.ط، 1989م، ص 40.

لقد كان "فرانسيس بيكون*" من أكبر منتقدي المنطق الأرسطي خاصة القياس وقد عبر عن ذلك من خلال استبداله الأرجانون الجديد، بقوله:

"إن الاستقراء الذي ينطلق من التعداد البسيط هو طفولي، استنتاجاته عرضة للخطر من أي شاهد مضاد، وهو بصفة عامة يحكم لنا على عدد صغير جدا من الوقائع، إن الاستقراء الذي نريده من أجل اكتشاف العلوم والبرهنة عليها ينبغي أن يحلل الطبيعة بواسطة عمليات نبذ واستبعاد"[1].

إن القياس الأرسطي لا يصلح للكشف عن قوانين الطبيعة وعللها، وكشف نظريات جديدة في العلم التجريبي.

لقد بدأ بيكون منهجه من خلال تصحيح الفكر من خلال أربع أخطاء يقع فيها العقل وهي:

- أوهام القبلية.
- أوهام الكهف.
- أوهام السوق.
- أوهام المسرح[2].

نظرية الاستقراء عند فرنسيس بكون:

نظرية الاستقراء عند بيكون تقوم على أساسين:

1-مبدأ العلية: يرى بيكون أن الظواهر الطبيعية معقدة لذلك يجب تحليلها وتبسيطها[3].

---

*-فرانسيس بيكون انجليزي 1561م، وضع أسس المنهج التجريبي، من خلال مبدأ الاستقراء، وبيان أهميته، توفي 1626م، مؤلفاته: الارجانون الجديد. أنظر: موسوعة البدوي، مرجع سابق، ص 293.

[1]-فرنسيس بيكون، الأرجانون الجديد، (الارشادات الصادقة في تفسير الطبيعة)، تر: عادل مصطفى، رؤية نشر والتوزيع، ط1، 2013م، ص 103.

[2]- فرنسيس بيكون، الأرجانون، المرجع نفسه، ص 28.

[3]-ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، المرجع السابق، ص 220-221.

ولبلوغ ذلك يجب اتباع الاستقراء لأنه المنهج الأنسب لفهم حقيقية الأشياء وعللها فالاستقراء يفصل الظواهر الطبيعية عن طريق عمليات الصحيحة لرفض والاستبعاد وينتهي إلى نتائج ايجابية لعدد كافي من الحالات السلبية.

فالمعرفة الحقيقية تتمثل في معرفة العلل وتفسيرها لارتباطها ببعضها البعض لقد رفض "بيكون" "العلة الصورية" وأن العلل الحقيقية هي التي تؤدي إلى نتائج طبيعية تكون سببا ضروريا لوجود الظاهرة، فالعلة تمتاز بخاصية طبيعية أو فيزيائية تشاهدها التجربة وتظهر في قائمة الحضور، وتختفي في قائمة الغياب.

فالقانون العلمي عند "بيكون "هو تفسير لظواهر طبيعية، والعلم الحق هو معرفة العلل[1].

وارتبط منهج الرفض والاستبعاد عند بيكون بمبدأ الحتمية الكلية في العالم الطبيعي، كما هو مرتبط بمبدأ العلية الكلية، ذلك أن كل حادثة تكون نتيجة لحادثة سابقة عليها.

ولعل حتمية "بيكون "هي التي وجهته إلى منهج الاستبعاد، لأن العالم الحتمي يسير وقف قوانين ثابتة تسير وفق الحوادث[2].

وعليه فإن إطراء الحوادث معناه أن حوادث المستقبل تكون على مثال الماضي والحاضر، والاعتقاد بصحة هذا الفرض، هو سندنا الوحيد لتنبؤ، بمستقبل الحوادث والوقائع وهنا تفسر الظواهر بمبدأ الأطراد.

الطرق الاستقرائية:

كان بيكون يكشف عن علل الأشياء بالطرق التالية "قوائم بيكون

أ. **قائمة الحضور**: سجل فيها الحلات الموجبة الظاهرة المراد بحثها، مثال: أمثلة تثبت وجود الحرارة، الشمس، النار، الصواعق، الاحتكاك.

ب. **قائمة الغياب**: أمثلة غياب الظاهرة، مثال: الحرارة تغيب.

[1]–علي حسين، منهج الاستقراء العلمي، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2010 ، ص 143.

[2]–علي حسين، منهج الاستقراء العلمي، المرجع نفسه، ص 144.

ج. قائمة التدرج: يسجل فيها الحلات التي تظهر فيها الظاهرة بصفة أو بدرجات متفاوتة مثال: الحرارة في النهار بدرجات مختلفة، زيادة ونقصان. "[1]:

يعتبر "بيكون" أن اكتشاف صورة العلة، لا تكون إلا بالتجربة، واستخدام الاستقراء لاستخلاص العلة المختلطة بغيرها، وذلك بالاستبعاد أو الاستقراء، وأن الاستقراء الجيد هو الذي يكشف عن العلة في مجال العلوم، أما بالنسبة للفروض[2] فقد رفض اعتبارها مرحلة أساسية في بناء المنهج الاستقرائي ويمكن تصور منهج الاستقراء عند بيكون:

- تصنيف الملاحظات والتجارب.
- انكار الفروض.
- منهج الرفض والاستبعاد.

لقد حذر بيكون من "الفرض" وأسماه استباق الطبيعة، أي استنتاجات عقل الإنساني، قضايا لفظية تسيطر على الأشياء[3].

مشكلة الاستقراء:

لقد شهد العصر الحديث، العلم والفلسفة كتيارين متميزين، ولا يشك أن الروح الدافقة للعلم الحديث، الذي تنامي وتصاعد وتعاظم أمره قد انعكس في خلجة في خلجات الفلسفة الحديثة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ، وأفلح "بيكون" بروحه العلمية التي بلورها في الاستقراء، والمنهج التجريبي و الإنصات لشهادة الحواس كمصدر للمعرفة الإنسانية.يعد تحرر من الأوثان والأخطاء، ورفض الميتافيزيقا، عوامل هيأت انجلترا أكثر من غيرها لتمثل المنهج التجريبي[4].

---

[1]–حبيب شارولي، فلسفة فرنسيس بيكون، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1401هـ/1981م، ص 79-80.

[2]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط4، 1988،ص 89.

[3]– محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع نفسه، ص 71.

[4]–المرجع نفسه، ص 148.

وبعد حوالي قرن من الزمن من بيكون جاء "دافيد هيوم"*، ليشكك في الاستقراء وأسس الاستقراء وقد عرفت "بمشكلة هيوم" لكن ملاحظته حول الاستقراء لم تثمن بعد مدة، ويعود ذلك إلى تأثر "تأثر جون ستيوارت مل" ب"فرنسيس بيكون"، ودفاعه عن الاستقراء[1].

لقد اصطلح على أن الاستقراء هو الحكم على ثبوت الكلي لثبوت الجزئي، أي أنه استدلال صاعد من ملاحظات جزئية تجريبية، إلى حكم كلي يصاغ على شكل قانون عام، يجعل الحكم صادقا في جميع الحالات المتماثلة، أينما وقعت وهكذا فإن التعميم يسمح بإمكانية التنبؤ لأنه مستند إلى مبررين هما: -مبدأ العلية.

-مبدأ الإطراء.

ولكن تمكن مشكلة الاستقراء في مسألة تبرير الفقرة التعميمية التي هي انتقال من الحوادث الجزئية إلى القانون العام الكلي للحوادث الجزئية الموجودة في الطبيعة في حين أن القانون العام هو من إنشاء الفكرة ومن الواضح هنا أن الاستقراء يطرح ابستيمولوجيتين هما:

1. ضمان الذي يضمن لنا القفزة التعميمية أي انتقال من الجزئي إلى الكلي أي من حوادث فردية إلى قانون عام.
2. مشكلة الأساس الذي يعتمد عليه في عملية الاستقراء التي تقفز بنا إلى قانون عام.

يجمع أغلب الفلاسفة أن هيوم هو من أثار هذه المشكلة الابستيمولوجية وذلك من خلال فحص الأساسين، هما مبدأ السببية وإطراء الحوادث الطبيعية.

تساءل هيوم قائلا: "بماذا تعتقد في الفكرة السببية أن إثبات القوانين الطبيعية وإطرادها ليس فكرة حدسية وليست كذلك نتيجة برهان منطقي"؟.

قد يقال أن الاستقراء مؤسس على مبدأ السببية؟، وإذن فلا يمكن تأسيس ثبات القوانين على الاستقراء لأن المشكلة المطروحة هي أساس الاستقراء نفسه، وأمام هذا المأزق لم يجد هيوم تفسيرا آخر السببية غير ذلك الذي قال به "الغزالي" من قبل أي ارجاعها إلى العادة والاقتران،

---

*-فيلسوف ومؤرخ انجليزي 1711م ذو نزعة حسية مغالية، وأبرز ما اشتهر به "رأيه في العلية". انظر: بدوي، موسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 611.

[1]-محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، تعليق: نجيب محمد، مؤسسة عارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ/2008م،ص67.

لقد اعتدنا مشاهدة الحوادث يتلوا بعضها البعض من هذا الاقتران بين الحوادث ما يسمى بالسببية[1].

يرى هيوم أن الانطباع هو الخبرة الفورية التي يمر بها الفرد حين يدرك شيئا بحواسه أو يعيش حالة انفعالية، عن طريق ما تخلفه الانطباعات من صور وذكريات تتكون من أفكار، ومبدأ تداعي المعاني السيكولوجي، يرجع هيوم كل شيء إلى التجربة أي الخبرة النفسية الفردية بالمحسوسات أي الانطباعات، أنكر أي فرضية اخبارية أو عبارة متعلقة بالعالم وتكون مستقلة عن الحواس ولا يمكن ردها إلى الانطباعات الحسية حتى ولو كانت الفرضية قانون العلية الذي يقيم العلم الطبيعي[2].

وقد ميز بين نوعين المعارف **الاولى**: المعرفة المنطقية أي التحليلية التي تقتصر على تحليل الأفكار الذهنية لتحديد ما بينهما من علاقات لزومية استنباطية.

والثانية:معرفة إخبارية مثل العلوم الطبيعية ولا مصدر لها إلا الانطباعات الحسية ومعطيات التجريب، وعلى القارئ قبل قراءة كتاب سؤال نفسه إذا كان الأول أو الثاني فإن لم يكن لا هذا ولا ذلك كان ميتافيزيقيا يلقيه في النار.

فالعلية هي العلاقة الوحيدة التي تنقل الذهن إلى أبعد مما هو محسوس مبرر وحيد للاستدلال على الواقع.

إن هيوم يحاج في رسالة أننا حين نقول أن أ هي العلة ب تتفكك العلاقة بين أ وب ثلاث عناصر هي الأسبقية والتماس والرابطة الضرورية.

فإذا كانت **أ** تسبب **ب** فلابد أن الأول أ سابقة في الزمان **ب** طالما أن النتيجة لا يمكن أن تسبق سببها.

لا بد أن تكون **أ** على تماس مع **ب** وهذا الشرط المطلوب فالقمر يسبب المد والجزر بدون تماس.

صلة الضرورية بين العلة والمعلول **أ** سبب **ب** فإن **أ** تجعل **ب** تحدث على نحو ما أو إذا ظهرت **أ** فإن **ب** تكون مؤكدة.

---

[1]–محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلم، المرجع السابق، ص 354.

[2]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص 119.

وهنا يوجه هيوم انتقالية الفكرة الضرورة، من أين تنشأ فكرة الضرورة السببية فهي ليست من الملاحظة بل الانطباع الحسي، وإنها توقعات الملاحظات المتكررة، إنها انطباع أو عاطفة تشكل فكرة الرابطة الضرورية وليس في الواقع ما هو أبعد من ذلك[1].

إن استدلالاتنا في الواقع المحسوس، أساسها العلة والمعلول، فإذا شاهدنا واقعة جديدة تبررها على ما سبق ملاحظته، لكن إذا صدقت أحيانا فإنها لا تصدق في كل الحالات "المد الجزر".

وقولنا لكل حادثة علة مردها إلى التجربة مثال :اشتعال الفحم لتأثرها بالنار، وهذه الفكرة كونت نتيجة العادة، لكن إذا قلنا أن ضعف الخمسة عشر ليس ثلاثين، فالأولى صدقها على مدى قابليتها للواقع، أما الثانية تكون باستنباط الصحيح، الأولى قضايا تجريبية والثانية منطقية[2].

فالمعيار الوحيد لاختبار افكارنا الخارجية عن طريق الانطباع الحسي، وهي عبارة. إن هذه العلاقات والمبادئ تجعل الأفكار مترابطة ببعضها البعض، البعض على النحو الذي تجعل الواحدة منها إذا حضرت أمام الذاكرة استدعت سواها بطريقة تلاحظ فيها شيئا من الإطراد والانتظام، ففي التفكير الواعي المنظم ترتيب لأفكارنا ترتيبا، أي أن الفكرة تستدعي فكرة، إذا كان بين الفكرتين سبب، أو إذا وقعتا في لحظتين من الزمن متتاليتين أو وقعتا في لحظة واحة، وإذا كانتا قد وقعتا في موضوع واحد من المكان، أو موضوعين متقاربين، وكذلك تدعو الفكرة فكرة سواها إذا كانت علة لها أو معلول[3].

وعلى ضوء هذه الأهمية التي يوليها هيوم فكرة العلية تحتل الصدارة في فكر هيوم، ويرى أنها بمعناها الدقيق لا تدرك بالحس وبالتالي إلا عادة تداعي المعاني*.

---

[1]–جون كوتنغهام، العقلانية، المرجع السابق، ص 92.

[2]–مرجع نفسه، صفحة نفسها,

[3]–زكي نجيب محفوظ، دافيد هيوم، دار المعارف، مصر، د.ت، د.ط،ص 51–52.

*–التداعي يطلق على تعاقب الظواهر النفسية، أو على حدوثها معا، وله نوعان، تداعي الأفكار المتعاقبة، تأتي من الأحوال النفسية المتتابعة، وتداعي الأفكار الحادثة وهي تجمع حالتنا وأكثر في مركب نفسي واحد، إذا ظهر أحدهما جلبت غيرها.

ولتوضيح ذلك مثال هيوم: كرة البلياردو التي تتحرك فتصادف كرة أخرى فتتحرك هذه، وليس في حركة الأولى، ما يظهر على تحرك الثانية[1]. ومعنى هذا أنه لا يوجد في عالم الحسي التجريبي شيء اسمه علية، إنه عادة سيكولوجية تجعلنا نتوقع الإطراد في الحالات المستقبلية فهي عادة وطبع فحسب.

فحين نلاحظ الحادثة أ تتبعها ب أكثر من مرة أو مرات لا تقول أن ذلك يحدث لأن أ علة معلولها ب ما دامت العلية والإطراد قد ارتدا إلى مجرد عادة سيكولوجية وطبع.

فكل ما نستطيع قوله أن أ قد أعطتنا ب فحسب، وليس لدينا ما يبرر توقع الحادثة ب حين نرى أ مرة أخرى، ونفترض قانونا يربط بينهما فكل ما في الأمر تكرار الخبرات التجريبية أو الانطباعات الحسية، يخلق فينا عادة الاعتقاد في قانون أن معرفتنا بالعالم الخارجي "معتقداتنا بقوانين علية مطردة مجرد عوائد نفسية[2].

ومن هنا نستخلص أن مذهب هيوم في الاستقراء يرتكز على أن أي محاولة للاستدلال الاستقرائي تتعرض لدور التعميم لا يملك أي تبرير ممكن وأن الاستنتاجات وقضايا التعميم كلها فهم خاطئ للسببية وهكذا أصبحت حجة التعميم العقلانية[3].

ونستخلص العلية و الاطراد مبدأي الاستقراء أنهما من تكوين النفس ولا يملك أن تحيد منه، فهو من رواد النزعة النفسية الذي ينكر استقلال المنطق على الحياة النفسية ويحاول رد كل العلوم والحقائق إلى الحياة النفسية.

وهكذا جاء دور جون استوارت مل ليحمل لواء الدفاع عن هذين المبدأين وشرحهما بالبرهان عليهما فانتهى إلى وضع طرق وقواعد الكشف عن العلة، والتأكد من صحة الفرض لينتقل إلى تفسير الظاهرة ثم القانون العام.

لقد كانت أراء مل أكثر نضجا من سابقيه "بيكون" و"هيوم" رغم تأثره بهما، إلا أنه يتعارض مع هيوم في فهممها لمبدأ السببية "جون استوارت مل" تنطوي على الضرورة، وعند

---

[1]–ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث العلمي، المرجع السابق، ص 349.

[2]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص 152.

[3]–محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، دار الفكر، بيروت، ط4، 1972م، ص 136.

هيوم مجرد تتابع زمني[1]، ولكن الأشكال المطروح ماهي تبريرات جون ستيوارت مل المشكلة للاستقراء؟ ولمبدأ أي العلية والإطراد.

[1]–توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص 141.

المبحث الثاني: نظرية المعرفة وتطور فلسفة العلم

لقد تشبع " جون استيوارت مل" بالمنهج التجريبي وهاجم هو الآخر المنطق الأرسطي القياسي الذي اعتبره خاص بالعقول التي لم تتمرن على المناهج العلمية[1].

وصرح أن القياس الأرسطي ليس إلا مصادرة على المطلوب لأن نتائجه مفترضة في مقدمته الكبرى وأنها لا تخرج عن أحد الأمرين أولهما.

أن تكون معرفة قبل المقدمة التي تتضمنها وعندئذ تنتفي لحاجة إلى وضع القياس أن تكون مجهولة وعندئذ يتعذر وضع المقدمة الكبرى.وهنا رأى أن القياس استنتاج جزئي من جزئي[2].

ولقد صرح "جون ستيوارت مل "أن الاستدلال لا يكون الا استقراء، فالاستدلال القياسي لا يعرض نتائجه هامة وعامة انتهى إليها الاستقراء.

كما رفض تعريفات التقليدية للمنطق، كما اعترض الحقائق التي تدرك في الخبرة الحسية إدراكا مباشرا، من هنا قال" أن المنطق هو علم البرهان بالنظر في صحة الاستنباط قضية ولمت كان الأصل في المعرفة إدراك المحسوس ليبتعد إدراك المجرد، فالمنطق الاستقرائي عنده هو الأصل والمنطق الصوري هو الفرع"[3].

إنه من الطبيعي ل" جون ستيوارت مل" بعد اعتناقه المذهب الحسي أن ينكر المعاني المجردة الخالصة بالمعنى التقليدي الذي زعم به العقليين بوجود مبادئ وأفكار فطرية لا دخل لتجربة بها من خلال ما يسمى بقوانين المنطق.

مبدأ الهوية أو الذاتية، مبدأ عدم التناقض أوليات رياضية لقد أنكرها كلها ردها إلى التجربة، أو ما يسمى بقانون تداعي المعاني.

---

[1]-J.S.MILL-Systèm of logic, Rationative and induction, book N-VI and Appendices Edition of the test, J.M Robson-paul-ledge and keganpaul, london 1972, P32.

[2]-توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع السابق، ص 140.

[3]- توفيق الطويل، جون ستوارت مل، المرجع نفسه، ص 142.

إن المناهج الصورية والفلسفات الميتافيزيقية التي شاعت في الفلسفة الاغريقية القديمة وفلسفة العصور الوسطى، لا تقوم على أي أساس من الخبرة الحسية ولا تتجه مباشرة نحو الوقائع الجزئية[1].

أن الاستقراء الذي يدعوا إليه "مل" مبني على ملاحظة الجزئيات، والانتهاء إلى قانون عام يفسر جزئيات الظاهرة، ولا يهتم فيلسوفا باستقراء الذي نلاحظ فيه جميع أفراد الظاهرة التي يدرسها الباحث الواحدة تلوى الأخرى.

يقول "مل" إن الاستقراء بمعناه الخاص، يمكن اختصار تعريفه بأنه تعميم التجربة فهو أن نستنبط من بعض الحالات الجزئية التي نلاحظ فيها الظاهرة أن هذه الظاهرة سنجدها في جميع الحالات من صنف معين، أي في جميع حالات التي تشبه الحالة الأولى في صفات جوهرية.

فالعالم كما نعرف متكون من أساس إن ما صح في حالة من الحالات يصح أيضا في جميع الحالات من طبيعة ما[2]. لأن الاستقراء الذي يستوفي جميع مقدماته أو بالأحرى الحكم على الكلي يكون نفس الحكم على الجزئي الذي صدر على كل فرد من أفراده، لأنه يفيد نفس المعرفة التي يتضمنها مقدماته، وقد سبقه "بيكون" في استبعاد مثل هذا النوع من الاستقراء واعتبره صبيانيا لأن نتائجه لا تقوم على أساس.

وقد صرح "مل" على أن هذا النوع من المعرفة قد يصطنع في المراحل الأولى من البحث لكنه لا يفيد البحث العلمي[3].

قواعد المنهج الاستقرائي:

لقد رست قواعد المنهج الاستقرائي رسوا وثيقا ومكينا في القرن التاسع عشر عندما ما أصدر جون ستيوارت مل، كتابه "مذهب المنطق A system of logic وتم بعد وبسبية فصل العلم عن الفلسفة والدين واقتصر اعتماده على المنهج التجريبي فقط.

يقوم هذا المنهج على الملاحظة والتجربة.

---

[1]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص 73.

[2]– J.S.MILL–Système logique, deductive et inductive, trad, L. Peisse 3eed, Paris, Alcan, 1889, P346.

[3]–توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع السابق، ص 142.

ومجاله: المعرفة التي مصدرها الحس[1].

خطواته:

1. تحديد المشكلة أو موضوع البحث.
2. صياغة الفرضية وهي مقولة مؤقتة عن صلة بين حادثين أو أكثر أو متحولين أو أكثر.
3. إجراء الملاحظة أو التجربة.
4. النتيجة[2].

-الفرض: يعتبر لقطة اتصال بين ملاحظات والتجارب سابقة، وبين ملاحظات وتجارب لاحقة، وهي الأخيرة تكون أكثر دقة، فالفرض العلمي الذي ينشأ عن ملاحظات تحقق صدقها بالملاحظة والذي صمد أما الطرق.

وهكذا فلا يمكن أن نفترض قبل أن نلاحظ ونجرب، ولا يمكن أن يتحقق قبل أن يولد الفرض أو عدة فروض أو عدة فروض هي التي تتحقق من صدقها، ولا يمكن أن تصل إلى قانون علمي دون أن تتجاوز المراحل[3].

مراحله:

1-الملاحظة والتجربة:

أ-الملاحظة: مشاهد دقيقة للظواهر أو الوقائع الموجودة في العالم الطبيعي وهي جزء مهم من المنهج الاستقرائي التجريب، وسبيل إدراكها بالحواس قبل اكتشاف الآلات العلمية، الحواس مصدر المعرفة للعالم الخارجي[4]:

وتشترط في الملاحظة أن تكون حسية فقط بل تتضمن استعمال الفكر وملكاته العليا، فهي ليست مجردة عملية حسية أو أسلوب ثانوي بالتفكير، بل لها جانب من العقل، الذي يقوم بنصب كبير من إدراك الصلات الحقيقية للظواهر وهي التي تعجز العمليات الحسية المجردة عن إدراكها، وتدخل العقل ضروري.

---

[1]-عبد الهادي الفضلي، اصول البحث ، المرجع السابق، ص 55-56.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها,

[3]-علي عبد المعطي محمد، المنطق ومناهج البحث العلمي، العلوم الرياضية والطبيعية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، د.ط ، د.ت، ص 372.

[4]-المرجع نفسه، الصفحها نفسها.

وهي تلمس تدخل العقل في الملاحظة، لأنه يمكن أن تؤدي الملاحظة دورها إن لم تجمع بين العقل و الحواس[1]، فهو الذي يسعى إلى تنسيق عناصرها المنفصلة فالعقل هو الذي ينتج الفروض المثمرة، من تفسير وفهم وتصنيف وتحليل وتركيب.

ب–التجربة

هي ملاحظة الظاهرة بعد التعديلات، فنحن الذين ننتج الحادثة أو الظاهرة بشروط نستطيع التأكد من صدق الفرض، كأننا نتدخل في عمل الطبيعة، ونجبرها عن الإجابة على اسئلتنا. وهكذا نستنتج أم " جون ستيوارت مل" يبدأ مراحل هذا المنهج بالملاحظة والتجربة لينتقل إلى وضع الفروض وأخيرا التحقق التجريبي من الفروض، ويعرض خطوة المنهج لتعرف على صحة هذه الفروض فهي السبيل المعرفة والتأكد منها للوصل إلى مرتبة القانون.

ج–الفرض العلمي:

" جون ستيوارت مل" كان يفهم أن الفرض أنه افتراض نتقدم به لاستنباط نتائج مطابقة للواقع التي تعلم انها حقيقية[2]، فالنتائج التي تستنبط من الفرض هي التي تحدد مدى صدقه أو كذبة، عن طريق ما نكتشفه من تطابق بين النتائج والوقائع الخارجية.

لذلك فالفرض عند " جون ستيوارت مل" مرتبط بالعلة، ومنه تصبح الفروض تفسير للعلل، ومنه فمرحلة تكوين الفرض ومرحلة التحقيق ذلك الفرض تحقيقا تجريبيا، وكل الخطوات حسب " جون ستيوارت مل" تهدف إلى صياغة قوانين يسير وفقها العالم الطبيعي لكن هذه القوانين تفترض مبدأين هامين مبدأ إطراد الظواهر في الطبيعة ومبدأ العلية، بغيابهما يصبح الاستقراء بغير أساس، كما يؤكد "مل" على مرحلة تكوين الفرض، وهي مرحلة أساسية في البحث الاستقرائي، وذلك طبعا بعد مرحلة الملاحظة والتجربة، لأن أهم أهداف العلم إقامة القوانين.

---

[1]–عبد القادر بشتة، الابستيمولوجيا، دار الطباعة لنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سبتمبر 1995م، ص 61.

[2]– J.S MILL, Système of logic, New impression langman group London, 1970, P322:

طرق البحث العلمي:

1-طريقة الاتفاق: نجد هذه القاعدة: "إذا كان هناك طرف واحد مشترك اتفقت فيه حالتان أو أكثر للظاهرة قيد البحث، فإن هذا الظرف الوحيد الذي اتفقت فيه حالتان يعد علة الظاهرة أو بسببها[1].

مثال: من أصابته رصاصة في قلبه مات.

المعلول هو الموت، العلة هي دخول الرصاصة في قلبه.

إذا أحصينا ظروف الرجل قبل موته، نجد أنها تشبه ظروفه في الأيام الماضية، لكن طرأ عليه ظرف أصابه بالرصاصة وغيرت من حالته وأدت به.

نقول إذن العلاقة بين إطلاق الرصاص عليه وموته علاقة علية وتعرف هذه الطريقة بالتلازم في الوقوع "إذا وجد و جد".

2-طريقة الاختلاف: يحدد "جون استوارت مل" هذه القاعدة، فيقول": "إذا وجدت الظاهرة في حالة ولم توجد في حالة أخرى، فإن اشتراك الحالتين في كل الظروف، باستثناء ظرف واحد، لا يوجد إلا في الحالة الثانية وحدها يعني أن الظرف الوحيد الذي اختلفت فيه الحالتان هو سبب العلة أو علة الظاهرة، أو جزء لا ينفصل عن علة الظاهرة"[2].

مثال: -احتكاك بين جسمين تحدث حرارة.

-توفر الأكسجين وعملية التنفس

ا -لهواء علة لسماع الصوت وتعرف بالتلازم في التخلق "إذا لم يوجد لم يوجد".

3-طريقة الاختلاف والاتفاق: يحدد "جون استوارت مل" هذه القاعدة فيقول: "إذا بحثنا حالتين تظهر في كل منها خاصة، فوجدنا أنهما تختلفان في كل شيء على أمر واحد فقط، وحالتين أخريين لا تظهر فيهما الظاهرة، فوجدنا أنما تتفقان في شيء عدا تعيين ذلك الأمر، فإننا نستنتج أن يكون ذلك الأمر الموجود في المثالين الأوليين المتعين في المثالين الآخرين، هو علة الظاهرة"[3].

---

[1]-ماهر عبد القادر، الاستقراء العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص 153.

[2]-ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، المرجع السابق، ص 230.

[3]-توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع السابق، ص 147-148.

وتعرف هذه الطريقة بالتلازم في الوقوع والتخلف "إذا وجد وجد، وإذا لم يوجد لم يوجد"، وهي تجمع بين الطريقتين السابقتين.

مثال: أصيب أبقار ولاية تكساس في شمال الولايات المتحددة بوباء، أشيع بين الفلاحين والقصابين أن علته هو "القرادة"، ورفض الأخصائيون هذا التعليل، وقبله "ثيوبولد سميث" فرض لتفسير ظاهر الوباء، فجمع بقر مصاب وبقر سليم (من الجنوب) فنفق البقر كله، وجمع في حقل آخر بقر من شمال و خلصه من القردة وبقر من الجنوب سليم، فسلم البقر جميعا، ووضع في حقل آخر بقرا وقردة فنفق البقر، فأدرك أن العلة القردة تدور مع معلولها (الإصابة بالحمى) وجودا وعدما.

4- طريقة البواقي: يحدد "جون استوارت مل" هذه القاعدة بقوله: "إذا حذفت من ظاهرة ما يعرف بالاستقراءات سابقة أنه معلول بعض المقدمات، فالباقي من الظاهرة هو معلول المقدمات الباقية"[1].

مثال: إذا كتبنا أن أ و ب، ج علل ل: س، ص، ع، وأمكن إثبات أ ن **ب** علة **ص** وأن **ج** علة **ع** فإننا نستطيع أن نستنج أن **أ** علة **س**.

5-طريقة التغير النسبي: يحدد "جون استوارت مل" هذه القاعدة فيقول: "إن الظاهرة التي تتغير كلما تغيرت ظاهرة أخرى، فهي إما علة هذه الظاهرة او أنا ذات صلة علية بها"[2].

وتعرف هذه الطريقة بالتلازم في نسبة التغيير بين العلة والمعلول وجودا وعدما، زيادة ونقصانا، وتمتاز هذه الطريقة بأن كمية تعبر عن العلاقة بين الظواهر نسبية عددية، وتؤدي إلى نتائج أكثر دقة من الطرق السابق. مثال: الاحتكاك كلما زاد بين الجسمين ارتفعت درجة الحرارة وكلما قل قلت درجة الحرارة.

وهذه الطرق الخمسة للاستقراء عند " جون ستيوارت مل" تعتمد قانون السببية العلية في الوجود فما من ظاهرة إلا ولها سبب، وأن جميعا تستخدم في الكشف عن العلل والأسباب، كما تستخدم في التأكد من الفروض، أو التحقق من صحتها.

---

[1]-محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، المرجع سابق، ص 229.

[2]-ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، المرجع سابق، ص 233.

إن المنهج الاستقرائي الذي وضع قواعده "مل" استخدمه لتحقيق نتيجتين استعمال هذه الطرق كمنهجية بحث أولية ليكشف بها عن باقي القانون أو العلاقات التي تربط بين ظاهرتين أو أكثر.

استعمل هذه الطرق في التحقق من صحة أحد الفروض كسب الظاهرة[1].

جون ستيوارت مل ومشكلة الاستقراء

لقد انطلق "جون استوارت مل" لتفسير ظاهرة الاستقراء انطلاقا من التفسير الكلاسيكي للاستقراء باعتباره تعميما، فهو كما سبق أن ذكرنا تأثر ب"بيكون" وحاول الدفاع عن هذين المبدأين "العلة والإطراد" والاستقراء بمعناه الخاص، يمكن اختصاره بأنه تعميم التجربة، فتجربتنا في ظاهرة ما، تبرز سبب إطراداتنا في الظواهر المشابهة[2].

ويختلف موقف "مل" في أسس الاستقراء عن موقف "هيوم" في نقطتين أساسيتين **الأولى**، أن "مل" يقبل تصور العلية على أنها تعبر عن قانون كلي قائم على الاستقراء **والثانية**، أنه يرى أن تصور الإطراد قائم على الاستقراء، كما أن الاستقراء يقوم بدوره على الاطراد، ولكن الاطراد يدعمه بالاستقراء[3].

وهنا نلاحظ أن موقف "جون استوارت مل" فيما يتعلق بالمبدأين: يمثل خطوة تراجعية بالنسبة إلى هيوم، فتصور "مل" بالاطراد والعلية أنهما مترابطان، وأننا نعتقد فيه اعتقادا راسخا، ويقضي إنكاره إلى اضطراب في السلوك[4].

إننا في حياتنا اليومية نرى ظواهر تحدث كل يوم بزمان ومكان محددين ظواهر تتكرر تكررا لا يتغير، وهي مظهر من مظاهر الاطراد فحوادث العالم الطبيعي من حولنا تقع بصفة مطردة وهذا التصور هو مبدأ الإطراد.

---

[1]–ابراهيم مصطفى ابراهيم، منطق الاستقراء، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ط، 1999، ص 109. وانظر، محمود قاسم ،المنطق الحديث ومناهج البحث ، المرجع السابق، ص 205.

[2]–توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع السابق، ص 144.

[3]–ماهر عبد القادر، الاستقراء العلمي، المرجع السابق، ص 184.

[4]– ماهر عبد القادر، الاستقراء العلمي، المرجع نفسه، ص 185.

ويكمن سبب المشكلة في أن بيكون طلب الإغفال النظر عن العلل اللاهوتية والميتافيزيقية، والاهتمام بمعرفة الظروف التي تسبق وقوع الظاهرة التي يدرسونها، فجاء دافيد هيوم، وأنكر وجود الرابطة بين العلة والمعلول، وفسر العلاقة الضرورية بينهما بالتتابع الزمني[1].

لكن "جون استوارت مل" صرح أن الاستقراء وظيفته الكشف عن العلاقات الضرورية بين الظواهر، والظواهر مطردة الوقوع، وقد أكد أن العلة هي مجموعة الشروط والظروف التي إذا توفرت ترتب عنها وقوع المعلول الصفة مفردة.

وبهذا فطن "جون استوارت مل" إلى خطأ وقع فيه "هيوم" وصرح ان العلاقة العلية لا ترد إلى التتابع الزمني، لأن التعاقب المطرد لا يكون في جميع الحالات قانونا، فلا يكفي وجود سابق مطرد كدليل على أنه علة اللاحق المطرد[2].

مثال: الليل والنهار يطرد وجودهما متلاحقين، وليس السابق منها علة اللاحق، ومنه فإن العلة حسب "جون استوارت مل" هي السابقة الضرورية وليس السابقة العرضية، ولو ثبت اطرادهما، لأن "جون استوارت مل" يستبعد فكرة الإيحاء التي توجب الإرادة إلهية إنسانية.

وهكذا فإن التصور الذي يعبر عنه "جون استوارت مل" يوجب بأن الحوادث والظواهر الطبيعية في العالم الطبيعي مستوحاة من الخبرة والخبرة هي الأداة الكاشفة عن نظام الظواهر، وهذا ما يسميه "جون استوارت مل" نظام التتابع، مثال أ ظاهرة تتبعها ب، فالأولى على حدثت في فترة معينة، وتليها ب وهو المعلول في زمن التالي، وهذا التتابع يكون ملازما وثابتا في التكرار.

وهكذا يتحرر "جون استوارت مل" من المفهوم الذي فرضه هيوم. ويقول "جون استوارت مل" في هذا الصدد "من بين جميع الحقائق المتعلقة بالظواهر فإن أهمها بالنسبة إلينا هي التي تتعلق بنظام تعاقب الوقائع"[3].فهو يرى أن هناك حقيقة أساسية لها قيمتها ونظريتها إلى العالم الطبيعي هي تلك المتعلقة بنظام تتابع الظواهر ويقول: "أنه يريد ان يعين قانون هذا التتابع ويرى ذلك في قانون العلية، فهو قانون كلي يشمل كل الظواهر الطبيعية بدون استثناء"[4].

---

[1]–محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلم، المرجع السابق، ص 304.

[2]–توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع نفسه، ص 143.

[3]–J.S.MILL, Système de logique, Ibid, P365.

[4]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص 103.

وبناء على تصور "جون استوارت مل" للعلية يمكن لنا أن نفهم الاطراد العلي الذي نظر اليه "جون استوارت مل" على أنه مبدأ للاستقراء وأن الظواهر التي تحدق بطريقة تكشف عن التلازم العلي هي ظواهر الاطراد العلي، ومردها إلى مبدأ ما يسميه "جون استوارت مل" "العلل الدائمة"، والتي هي الشمس والأرض والكواكب، وما فيهما من عناصر بسيطة ومركبة، وهي علة كل ما يحدث في عالمنا[1].

فكل الظواهر العالم الطبيعي مردها إلى هذه "العلل" سواء كان تأثرا مباشرا أو غير مباشر، وهذا يعني ان الظواهر التي تحدث في العالم الطبيعي تتسم بالارتباط والتتابع المتكرر وهذه الفكرة حسب "مل" وصلنا إليها عن طريق الاستقراء، أي من خلال ملاحظاتنا لتتابع المتلازم الثابت بين الحادثتين.

أما فيما يخص التعميم

ومن خلال تصريح "هيوم" بأن مشروعية الاستقراء لا تقوم على أي دليل منطقي ولا تجريبي"[2].

فقد برر "جون استوارت مل" بأن التجربة علمتنا بأن الطبيعة تشير على نسق واحد، وتماشيا مع تداعي المعاني تعيد الذاكرة الظواهر بنفس الطريقة التي تعاقب فيها وهنا يكمن سر اعتقادنا بالتعميم من تجارب جزئية، وهذا هو طبقا لما نلاحظه من ثبات في الوقائع المضطردة في الماضي[3].

كما علمتنا التجربة أن العلاقات الطبيعية ليست فوضوية عشوائية، بل تسير وفق نسق منظم ومركب من اطرادات جزئية، تسمى قوانين الطبيعة وذلك باعتماده على نوعين من اطراد:

الأولى: دال على اختزان في الوجود من قبل الملاحظة، مثال: كل صبي مقترن مع انحراف العينين

الثانية: دالة على اقتران في التتابع ويطلق عليها السببية عامة أو الخاصة[4].

---

[1]–ماهر عبد القادر، الاستقراء العلمي، المرجع السابق، ص 186.

[2]–محمد باقر الصدر، الاسس المنطقية للاستقراء، المرجع السابق، ص 146.

[3]–السيد نفادي، الضرورة والاحتمال، المرجع السابق، ص 76.

[4]–محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، دار المعارف، مصر، ط6، 1970م، ص 246.

فالاطرادات أنواع منها المتزامنة التي هي قوانين الاعداد والامتداد والشكل وهي موضوع علمي الحساب الهندسة، أما قانون العلية الذي يعبر عن الظواهر المتتابعة فنحن نصل إليه عن اطراد التتابع الظواهر بطريق الاستدلال لأنه حالة ضرورية منطقية بتسجيل تصور نقيضها.

1-فلسفة "مل" الأخلاقية والسياسية:

لقد كان لجون ستيوارت مل اسهامات مستديمة في الفلسفة الأخلاقية والسياسية وقد تكلم في العديد من المجالات الاجتماعية، فكتابه "A system logic" ليس عملا في المنطق فحسب بل كدلك في فلسفة العلم، الميتافيزيقا...

2-الحرية عند جون ستيوارت مل

ان مفهوم الحرية السياسية (الليبيرالية) والاستقلالية الفردية يرتبطان ارتباطا وثيقا باسم "مل" بحيث لا تذكر الليبيرالية إلا ويذكر اسم "مل" على الرغم من أن المصطلح قد استخدم منذ زمن طويل.

لقد بدأت الحرية نتيجة تقييد السلطة الحاكمة على المجتمع إلى حد الطغيان على شعبها، فكان الحل هو ضمان الحقوق السياسية للأفراد وإقامة الضوابط الدستورية، وتكمن خصوصية "فلسفة مل" في وضع القاعدة التي تحدد سلطة المجتمع على الفرد، وهي النواة الفكر الليبيرالي المعاصر.

لقد لقيت حرية الفكر والمناقشة اهتماما كبير عند "مل" فهو بزعم ان صلاح المجتمع بصلاح الفكر، وصلاح الفكر بصلاح المجتمع ويطرح مبدأ الأعظم فيقول: "أن فرض الرأي ومنع النقاش حوله هو ادعاء بأن هذا الرأي هو اليقين والمطلق والادعاء باليقين المطلق هو ادعاء بالعصمة من الخطأ، وهذه الأخيرة مرفوضا بدليل التاريخ "[1].

فخاصية العقل البشري هي دليله في تصور التقدم وتصحيح الخطأ، وتقيد الفكر والمناقشة، يؤدي إلى تبني العقائد دون البحث عن قواعد منطقية، وذلك لعدم وجود الحاجة لتبرير آرائهم للغير، مما يجعل العقائد ميتة.

[1]-جون ستيوارت مل، الحرية، تعريب: طه السباعي، مؤسسة مكتبة ومطبعة الشعب، د.م، ط1، يناير 1922م، ص 24.

فشيوع الآراء لا يعني صحتها، لا يوجد علاقة بين رأي معين يتبناه الأغلبية وبين كونه صوابا، ويستدل بحادثة المسيح وحادثة اعدام سقراط[1]، فكلاهما كان رأيه صواب ورأي الأغلبية خطأ.فلا نستطيع أن نتأكد أن الراي الذي نريد أن نحاول إخراسه باطل، وحتى ولوكنا متيقنين، يظل إخراسه عملا شائنا، وهدا دليل على انفتاح الفكر والتسامح، والاستقلالية الشخصية والفردية وتطور الهوية.

يرى "جون استوارت مل" أنه في حالة احتمال خطأ الشائع، تكون المناقشة فرصة المعرفة الصواب، الذي يمكن لرأي الآخر، فيقول حجته ويدعم رأيه، أما إذا كان كلا الطرفين في خطأ، فنأخذ من كل طرف جزءا من الحقيقة ويجتمع الرأيان ويكونا الحقيقة الكاملة[2].

فتطبيق الحرية كمبدأ على أية أمة قبل أن تصبح على استعداد لإصلاح شؤونها بالمناقشة التي تقوم على حرية المساواة، وأن لم تبلغ الأمة هذه الدرجة فسوف تكون طائعة لسيدها وقائدها وحاكمها فالثوارت الفكرية التي خضعت لها وشهدتها أوروبا باختلاف مذاهبها وأراءها اجتمعت على رأي واحد عدم خضوع العقل لأي سلطة، ونبذ التقيد والقضاء على الاستبداد العقلي، هي من أهم دوافع الإصلاح المستحدثة في الأنظمة السياسية أو الجهود الفكرية[3].

لقد أكد " جون ستيوارت مل" على الحرية التامة لناس في الكتابة والنشر ورأى أن الحياة السياسية الصحيحة تقوم إذا اجتمع فيها رأيان متعارضان، حزب محافظ وحزب التقدم ويتمكن ذلك إذا استطاع أحد الطرفين توسع نطاقه حتى يتمكن من الموازنة بين الطرفين وقد خصص "م جون ستيوارت مل" في كتابه "on liberty"[4] أول نص يواجه قراء "جون ستيوارت مل" دفاعه الموسوم بالعاطفة عن الحرية الليبرالية السياسية.

---

[1]–جون ستيوارت مل، الحرية، المصدر السابق، ص 66.

[2]–جون ستيوارت مل، أسس الليبيرالية، تر: إمام عبد الفتاح، ميشيل متياس، مكتبة مديوني، د.ط، 1996م، ص 90.

[3]–جون ستيوارت مل، عن الحرية، تر: سعيد شحاتة، شركة الأمل لطباعة والنشر،د.م، د.ط، 2012م، ص 66.

[4]– جون ستيوارت مل، عن الحرية، المصدر نفسه، ص 74.

يؤكد "مل" في دراسته أن غايته هي الدفاع عن مبدأ الحرية ويقول في هذا الصدد "أنه لا يصح أن يكره المرء، على فعل الشيء أو تركه، لكنك يمكنك أن تعترض عليه، أو الجدال أو اقناعه أو استعطافه لكنك لا يمكنك ارغامه"[1].

3-الاقتصاد عند جون ستيوارت مل: أدت الليبرالية الاجتماعية التي تؤثر في النظريات السياسة عند "مل" إلى اصلاح اجتماعي لقوانين العمل وحق العمال في التنظيم.

فاستغلال "ريكاردو" و"مالتوس" لشعار أدم سميث، "دعه يعمل، دعه يمر"، في الاحتيال على العمال وسلبهم حقوقهم واستغلال الطبيعي[2].

ولدلك كانت ردة فعل جون ستيوارت مل عفوية بسبب الحرمان الطبقات الدنيا، ولدفاع عنها ، لأنه لم يوافق على أطروحات الليبرالي "دعه يعمل" التي تشمل قوانين السوق والمنافسة ذات التنظيم الاقتصادي، فالسوق الحر وقوانينه لا يمثلان حالة طبيعية يجب عدم مسها، وإذا رأينا أن هناك وضعا اجتماعيا اقتصاديا غير مرغوب فيه في البلاد يمكن التدخل عن طريق الإصلاحات القانونية.

4-النظرية النفعية عند " جون ستيوارت مل":

لقد انقسمت الحياة الروحية في عصر "مل" إلى معسكرين، تمثل في شخصين أولهما بنتام الذي واصل تراث القرن التاسع عشر، والشخصية الثانية كولردج ممثل القوى الروحية الجديد للقرن التاسع، وكان "مل" بحكم البنية كان ملتزما بمعسكر "بنتام" رغم تأثره بعالم كولردج.

فكل انجليزي هو ضمنيا إما مشاريع لبنتام أو لكولردج، وقد كان "جون استوارت مل" بينهما الحكم وقدم وصفا لكلاهما:-مذهب كولردج: محافظ ديني، غيبي، تاريخي، شعري.

---

[1]-وندي دونز. ريتشارد فمرتون، جون ستيوارت مل، تر: نجيب الحصادي، المركز القومي لترجمة، القاهرة، ط1، 2011م، ص 83.

[2]-غنارسكيربك. رتلزغيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، مرجع سابق، ص 553.

-مذهب بنتام: تجريبي، تجريدي، غير مؤمن، مجرد، واقعي*، وهما يمثلان التقابل بين القرنين 18 و19م، بين عصر التنوير والعصر الرمانتيكي، وقد سعى إلى التوفيق بينهما، وقال: "إن كل من تسنى له استيعاب مقدماتهما والجمع بينهما ملك ناصية الفلسفة الإنجليزية في هذا العصر بأسره"[1]، وذلك من خلال تطرقه إلى النفعية والعقوبات القصوى لهذا المبدأ، بإضافة حلول المفتوحة وذلك من خلال الصلة بين العدل والمنفعة.

*-مصطلح استخدم في إنجلترا بداية القرن 19م نظرية اقتصادية تقوم على مبدأ المنفعة الشخصية بدعوى أنه محرك الرئيسي لنشاط الانسان ونشأة في إنجلترا، عند أدم سميث، بنتام، مالتوس، ريكاردو، وجون ستيوارت مل. أنظر: روزنتال، المرجع السابق، ص 538.

[1]-جون ستيوارت مل، النفعية، ترجمة: سعاد شاهرلي حرار مراجعة: هيثم غالب ناهي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، يونيو 2012م، ص 23.

المبحث الثالث: المنهج و العائق الابستيمولوجي

اليقين الاستقرائي هو النتيجة المتوخاة من استقراء الظواهر الطبيعية، عبر متابعة درس الظاهرة وتحديد أسبابها وفق خطوات المنهج التي حددها "جون استوارت مل" وهي السببية كما أقرها "جون استوارت مل" ليست مجرد تتابع واطراد اقتران الظواهر إنما هي علاقة ضرورية واكتشاف هذه العلاقة والإذعان بمبدأ اطراد وقوع الحالات المشابهة يشكلان المبرر للإيمان بالاستقراء والأخذ بنتيجته.

فجون ستيوارت مل، المسرف في تجربته اعتبر أن مبدأ العلية ومبدأ الاطراد في طبيعة مبدأين استقرائيين، أي أن العقل يكشف صدق العلية، والاطراد من خلال الاستقراء عالم الطبيعة، وعبر الملاحظات والتجارب والتي يقوم بها الأدميون في عالم الطبيعة، وبهذا يركب "جون استوارت مل" خطأ فادحا إذ يقع في دور المنطقي، تستحيل معه المعرفة، فالاستقراء يثبت بالعلية والاطراد والعلية والاطراد يثبتان بالاستقراء[1].

إضافة على أنه رغم أهمية الفرض العلمي في تفسير الظواهر واعتبارها أهم مراحل البحث العلمي، جعلها "جون استوارت مل" امرا ثانويا في مجال البحث، لأنها تطلق العنان لخيال الباحث ويظلل فكره لأنه ينتهي به إلى عدة فروض لتفسر الظاهرة الواحدة.

وهذا ما يؤكد ان "جون استوارت مل" قرأ أعمال نيوتن وتشهد على ذلك اشارته المتعددة في كتاب المنطق وقد فهم "جون استوارت مل" أن نيوتن ينكر الفرض العلمي ودافع عنه بحجة أن نيوتن أنكر الفروض الميتافيزيقية او الفروض التي تنطوي على الماهيات الخلفية للأشياء وتلك الفروض لا سبيل لنا في تحقيقها بالتجربة[2].

يقول "بوبر" البدء بالملاحظة الخالصة، ثم تعميمها إلى قانون أو نظرة علمية، وبغير أن يكون في الذهن أي شيء من صميم طبيعة النظرية فكرة مستحيلة، وخلف المحال[3].

---

[1]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص 151.

[2]–توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع السابق، ص 144.

[3]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي ،المرجع نفسه، ص 161.

فالفرض الصوري ليس خطوة تالية للملاحظة والتجربة، ويراد به وضع اقتراح تفسير الملاحظات والتجارب، كما كان الحال عند الاستقراء التقليدي أي "مل" وإنما يضع تفسير القوانين وصلنا إليها فعلا، مثلا: لقد بدأ "ماكسويل"* إقامة قوانينيه بالطريقة الاستقرائية أي مبدأ بالملاحظة ما يقع للغازات والتجريب عليها، ثم البحث في تلك الملاحظات والتجارب قصد الوصول إلى اقتراح يفسر الملاحظات والتجارب ثم الوصول من ذلك الاقتراح على قضايا عامة تنطوي على خواص الغازات، لكنه لم يصل إلى نتيجة تقال عن الغازات ولتفسير ذلك افترض الذرة، أي أنه قدم فرض صوري، والفرض يحتاج إلى معين من الملاحظات والتجارب وتحدد قيمة الفرض بنتائجه في الواقع[1].وهنا يصبح الفرض الصوري أشبه بمصادرة تصل إليها لدعم القانون الذي نصل إليه وهي البديل.

فالنظرية الذرية بدأت بفرض صوري، وهو فرض الذرة، وأكدت النظرية أن اللغة الرياضية البحتة، هي اللغة الوحيدة للبحث العلمي وليست القواعد التي نص عليها "مل" وأتباعه، بالإضافة إلى انكارها بمبدأ العلية كأداة البحث , فنظرية الكوانتم، وأنكرت مبادئ الحتمية والالية وإمكان التنبؤ.

إضافة إلى صعوبة إنجاز الملاحظات في مجال الميكروكوسم، زاد من صعوبة التجربة، لأن التجربة بمثابة الملاحظة الثانية، فشروط المختبر لا يمكن التحكم فيها، لتغيرها المستمر، فالالكترونات في حركة غير ثابتة، وله عدة مدارات حول نواة الذرة، فلا يبقى لنا غير الحديث عن الاحتمالات الممكنة لحركته، وكان هذا من أكبر الأسباب التي اعتبرها هاينزنبرغ عالم الظواهر الصغرى، لا يسمح بالحديث عن حتمية صارمة، بل ارتيابية، أي مبدأ اللايقين[2].

وهذه كانت من أهم عوائق الاستقراء التقليدي، لأن العلماء بدوا يشكلون فيما مدى مطابقة ملاحظاتهم وقياساتهم لواقع الظواهر المدروسة فهي نظريات غاية في الدقة والإبداع، مثل: الطاقة لماكس بلانك، النظرية النسبية لأنشتاين، الميكانيكا النموذجية للوي دوبروي...

---

[1]–محمود فهمي زيدان ,الاستقراء والمنهج العلمي ,المرجع السابق، ص 182.

[2]–يمنى الخولي طريق، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2001م، ص 358.

فقد أصبحت مشكلة الملاحظة أم الفرض من أهم العوائق أو المشكلات فالعلاقة بين التجريب والتنظير، الحواس والعقل، اليد والدماغ، الواقع والفكر، أيهما اسبق.فالاستقراء الذي يبدأ بالملاحظة بدا يتقهقر نتيجة استبعاد دور العقل والابداع الإنساني إضافة الى أزمة التعميم التي اعتبرت قفزة غير مبررة وهنا وصل الاستقراء إلى طريق مسدود.

ايمان جون ستيوارت مل وتطرفه المطلق لتجريبية، كرد فعل على عكسية على الاستنباط الأرسطي، جعل نجاحه يتطرف أكثر في تجريبيته، فاعتبر الاستقراء المبدأ المطلق، والأداة الصحيحة لكل المعارف، دون استثناء حتى المبادئ الأولية العقلية، كعدم التناقض والعلية، ومبادئ الرياضيات إنها مستمدة من التجربة والاستقراء، وأن أصل كل العلوم حتى الاستنباطية أو البرهانية هو الاستقراء.

كيف يمكن تأسيس صدق القضايا الكلية المستندة إلى الخبرة، كالفروض والاتساق النظرية للعلوم الامبريقية، ذلك لأن كثير من الناس يعتقدون أن صدق القضايا الكلية يعرف بالخبرة، ومن الواضح أن الخبرة فيها يتعلق بالملاحظة أو نتيجة التجربة يمكن أن تكون قضية شخصية، وليست كلية لأن القضايا الشخصية ليست كلية[1].

فالمشكلة الأساسية للتجريبية هي تلك المشكلة المتعلقة والتي تنص على ان الخبرة وحدها يمكن أن تقرر صدق أو كذب القضايا العلمية.

إن المنهج الاستقرائي يرى أن كل فرض ناجح هو قانون واكتشاف الحقيقة فإن المنهج الفرضي الاستنباطي يعتبر كل قانون هو فرض ناجح لأن الفرضية هي قراءة للواقع التجريبية بواسطة الذكاء وقدرة عقلية إنسانية خلاقة يتم تقومها من طرف المجتمع العلمي.المنهج الاستقرائي يعتمد على الملاحظة الصلبة من أجل تأسيس وتبرير العبارات العلمية عن طريق الوقائع التجريبية ولذلك تشوبه

[1]–كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر: ماهر عبد القادر، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 89.

عوائق أهمها:

1-استحالة التبرير القفزة التعميمية.

2-يزعم أن القانون العلمي محض تعميم للواقع، ومنه العجز عن تبرير أو تفسير التقدم العلمي.

3-إن خطوات المنهج التجريبي متتالية بشكل آلي، ما يحيل المعرفة العلمية إلى نشاط آلي وجهته الحقيقية، فكيف نوافق بين هذا وبين اعتبار العلم فعالية إنسانية نامية ومتطورة.

كما أن الاختبار يساوي بين القدرات العقلية للناس فما الذي يفسر التفاوت الحاصل في ذكائهم وانجازهم ,ما تبرير وجود مشاكل علمية مثل داء السرطان والايدز، والتصحر، يعبر حل على الرغم من توفر كم هائل من لمعطيات التجريبية حولها يمكن ملاحظتها ثم تعميمها[1]، لتجنب قوانين علمية هي حقائق لتلك الأمور، لعل هذه النقائض أو العوائق لاعتبار كارل بوبر أن أزمة المعرفة العلمية هي أزمة منهج.

ولذلك وجه كل همة إلى تفويض وهدم أسس المنهج الاستقرائي من أجل استبداله ب القابلية للأبطال للفصل بين العلوم التجريبية والعلوم الزائفة بمعيار الاستقراء.

[1]-يمنى طريف خولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 163.

الفصل الرابع: مقاربة فلسفية بين النزعة العلمية عند سبينوزا وجون ستيوارت مل

المبحث الأول: تطورات الفلسفية ونزعة سبينوزا وجون ستيوارت مل العلمية

المبحث الثاني: قراءة نقدية لفلسفة سبينوزا وجون ستيوارت

تمهيد:

يقول غاستون باشلار " عندما نبحث في الشروط النفسانية للتقدم العلمي اننا نصل الى هذا الاقتناع بانه يجب طرح مشكلة المعرفة العلمية بلغة العوائق، ولا نقصد بهذا ان نأخذ بعين الاعتبار العوائق الخارجية مثل تعقيد الظواهر و صعوبة ادراكها و لا ان نتهم الحواس و العقل بالضعف، بل هناك ضروب من التراخي والاضطراب تظهر في عملية المعرفة بمقتضى نوع من الضرورة الوظيفية و هناك سوف نبين اسبابا ترجع الى الركود بل و حتى الى النكوص وهناك سنكشف عن اسباب ترجع الى الجمود .

فمعرفة الواقع هي ضوء يحدث دائما بعد الضلال في مكان ما ، انها لست أبدا مباشرة ولا تامة، ان انكشافات الواقع هي دئما متناوبة فالواقع لا يكون أبدا هو ما يمكن ان نصفه بل هو دائما ما كان ينبغي أن نعتقده وهكذا نفهم من قول باشلار ان المعرفة العلمية بقدر ما يستند الى منهج ما فهذا المنهج في ذاته مبني على اسس. فالعلم يقترب معناه من كونه محاولة لاثبات مبادئ صحيحة وثابته بالبرهان توصلنا اليها عن طريق الاستنباط المشروع. واستحداث وسائل واساليب لتطهير المعرفة العلمية من رواسب الفكر الماضي.

ولذلك يمكننا التساءل عن الواقعة العلمية هل هي عقلية بحته تعتمد على العقل المجرد بمنهج استباطي اساسه الحدس والبداهة العقلية ناتجة عن الفطرة كما ذهب اليه سبينوزا، ام هي حسية مكتسبة بمنهج تجريبي استقرائي قائم على الملاحظة والتجربة كما سلم به جون ستوارت مل,

المبحث الأول: التطورات الفلسفية و نزعة سبينوزا وجون ستيوارت مل العلمية.

1- سبينوزا: (المنهج استنباطي)

لقد انتهج سبينوزا المنهج الاستنباطي الرياضي للوصول إلى اليقين المطلق، لأن أسسه وأفكاره واضحة بالبداهة العقلية أو الحدس، ويمكن اتخاذها كمقدمات لاستنباطات يقينية لا شك فيها.

وهو يرتكز على دعامتين الحدس والاستنباط، وهما دعامتين عقليتان يمارسهما أي إنسان بالفطرة.

ويعتبر كل من "اسطو" و"اقليدس" الذين أسسا هذا المنهج[1]، وهو تحليلي خالص لأن نتائجه في مقدماته، ويمكن اعتباره منهجا قياسيا لأن القياس هو نموذج التحليل[2].

فالمنهج الاستنباطي العلمي قائم على وسائل فنية استنباطية (الاستدلال الاستنباطي)، و استبعاد التجربة إضافة إلى أنه أكثر المناهج الصحيحة في الاستدلال العلمي وسمي (المنهج البديهي).

وفي القرن التاسع عشر حدثت زعزعة على مستوى هذا المنهج وسمي بالمنهج اليقيني الاستنباطي، أطلقه الرياضيون المعاصرون، مؤكدين على الجانب اليقيني، وذلك من خلال التطابق بين المبادئ الأولية والواقع الخارجي. ان الاستدلال الرياضي لا يمكن ارجاعه الى القياس لان القياس لا نصل فيه الى اي جديد بل هو تكرار أو تحصيل حاصل، والاستدلال الرياضي يخضع الى نظام معين وترتيب محدد تكون خاتمته ابتكار النتيجة، فنتيجة الاستدلال الرياضي حدسية ابتكارية بخلاف القياس[3] (بوانكاري*).

---

[1]-عبد القادر بشته، ابستمولوجيا، المرجع السابق، ص 69.

[2]-م.روزنتال,يودين، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 503.

*-عالم رياضي فرنسي، وباحث في المناهج العلمية، ونقد العلم، والرياضيات، بحث في طبيعة البرهان الرياضي، انظر: موسوعة بدوي، المرجع السابق، ص 387.

3-عدناني عبد القادر، الفلسفة، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، دط، 1989.1990، ص 81

يجب عدم تناقض الفروض، كما لا يوجد فرق بين المسلمات والأصول واستقلال كل مسلمة على الأخرى، أن تكون المسلمات كافية للاستنباط [1] و السمة الاساسية للفروض هي عدم التناقض ، والمهندسون المعاصرون لا يفرقون بين المسلمات و الاصول الموضوعة ،وهكذا نشأ منهج جديد يختلف عن المنهج التقليدي ،هو المنهج الفرضي الاستنباطي ،حسب المدرسة الايطالية على راسهم "بيانو"، او الاكسيوماتيكي كما سمتها المدرسة الالمانية بزعامة هلبرت، والتسمية الاخيرة هي التي فرضت نفسها اكثر في مجال الرياضيات.

فالمجال الرياضي يبدأ بالبديهيات ثم استنباطات من تلك البديهيات نصل إلى نظريات، فمثلا في الهندسية الرياضية، فيستخدم هذه البديهيات مع الاستنباط يمكننا التوصل إلى النظريات والحقائق، ومع صحة النتيجة إلا أنها ليست بمعلومة جديدة بمعنى أن جل المعادلة معقدة لا يتضمن معلومة جديدة لم تكن موجودة في المعادلة نفسها، إذ لا يمكن للاستنباط أن يوجد معلومة جديدة.

فمن السهل إيجاد البديهيات في الرياضيات، ولكن هل من الصعب إيجاد البديهيات في علم الأحياء أو علم الأعصاب.

يرى "باشلار" أن ركائز الفكر الموضوعي الديكارتي لا يمكنها أن نستوعب الظواهر الفيزيائية، وبالتالي غير قادرة على تفسيرها فالمنهج الديكارتي ليس استقرائيا وإنما يعتمد على رد الظواهر إلى أصولها، ومبادئها العامة، وهذا من شانه ان يفسد التحليل ويعرقل الازدهار و الفكر العلمي الموضوعي[2]

ومن المعروف أن المنهج الديكارتي هو منهج الوضوح والبساطة كما أكدها "سبينوزا".

فيقول "ادجارموريز" "أن منهج الأفكار الواضحة والتمييز الديكارتي هو مبدأ التبسيط الوقائع والفصل بين عناصره، ونحن بحاجة إلى منهج يأخذ كل اعتباره جميع الأشياء الموجودة ابتداء من الذرة الميكروفيزيقية حتى الأجرام السماوية، ابتداءًا من البكتيريا حتى الإنسان المعقد وباختصار نحن في حاجة إلى أن نتجاوز ديكارت وكل مناهج العلم الكلاسيكي[3]

1-الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص111

2- عبد الوهاب جعفري، أضواء على الفلسفة الديكارتية، الفتح لطباعة والنشر، الاسكندرية، دط، 1990م، ص150

3-عبد الوهاب الجعفري، أضواء على الفلسفة الديكارتية، المرجع نفسه، ص 151

ويتضح من هذا النص أن الأولوية لمجال الخبرة (التجربة) التي تنبثق عنها، المناهج العلمية، والثورات فإنه من الممكن لتجربة علمية جديدة أن تغير الفكر العلمي بأسره المنهج يتغير باستمرار، وهو ليس وصفا ثابتا ودائما، فلا مجال للمطلقية في المنهج.

فالمنهج الديكارتي أن تفوق في تفسير العالم لا ينجح في تعقيد التجربة لذلك يفقد الوظيفة الحقيقية للبحث الموضوعي، أو الروح العلمية الجديدة تقلب مسألة الحدس رأسا على عقب، لأنه لا وجود له، لأن أي بديهيات لابد من مفاهيم لتكملتها من خلال تصورات ومقالات لغوية ومقدمات منطقية للوصول إلى نتائج عكس الحدس المباشر[1].

يرى بوانكاري أن البرهان الرياضي يقوم على أساس البرهان بالإنابة أو ما يسمى بالاستقراء الرياضي، نظر لشبه بينهما، أي "الاستقراء التجريبي"، إذا أن كلاهما يعمم بأن ينتقل إلى التطبيق على كل الأحوال، ولكن بين الاستقرائية فارق كبير، إذا أن الاستقراء التجريبي يبدأ من الوقائع منتقلا إلى القوانين وليس به دقة، بل فيه عنصر المجازفة، أما الاستقراء الرياضي فدقيق.

منهج النقد التاريخي: يري سبينوزا انه لا يختلف عن المنهج الدي نتبعه في الطبيعة ،فكما انه يقوم على اسس نتبعها في تفسير الظاهرة من ملاحظات و جمع المعطيات والانتهاء الى تعريفات للأشياء ،كذلك يحتم علينا الكتاب المقدس الحصول على معرفة تاريخية مضبوطة ، والاستقراء هو المنهج المستعمل في معرفة تاريخية توثيقية ،والاستنباط هو المنهج الذي لابد منه على مستوى النتائج .

لقد تطور النقد التاريخي مع "فولتير" "في الرسائل الفلسفية" وتوال هذا النقد في القرن التاسع عشر مع لنجوا و سيينولوسفي كتابهما المشترك المدخل الدراسات التاريخية.

إن التاريخ لا يستخدم الملاحظة بل يعتني بالبحث في الماضي، ويرى كاسبر ان المؤرخ لا يدرس الماضي فقط من خلال المستندات والأثار وإنما يعني ذلك الماضي، يجعله حاضر في عقله واحساسه، عن طريق الحدس[2].

---

[1]-عبد الوهاب الجعفري, أضواء على الفلسفة الديكارتية، المرجع السابق، ص.151

2-فولتير، رسائل الفلسفية، ترجمة:عادل زعيتر، دار المعارف، 1959، وانظر: باور-ل-فرانكلين، الفكر الاوربي الحديث، ج2، القرن الثامن عشر، 1988، ص 28

والعديد من مجالات النقد مثلا: النقد التفسيري (الهرمانطيقا).

المناهج الانثروبولوجية في دراسة الدين دراسة نقدية هوسرل ومدرسته وذلك من خلال تحديد مفهومه واسسه التي يعتمد عليها في تطوره التاريخي البحث في الوثائق (الهورسطيقا)[1].التاريخ يصنع الوثائق والوثائق هي التي خلفها السلف ، فالمنهج التاريخي هو الوحدة الموجودة للوصول الى الحقائق الماضية . والعديد من القراءات النقدية للنصوص بكافة الاشكال.

لقد كانت للفلسفة السبينوزية تأثير كبير في علمنة العلوم التجريبية وتحويلها على العلوم عقلية إلى علوم مادية، فالمادة من بعد "سبينوزا" أصبحت مع "هربرت سبنسر" لا تفنى ولا تستحدث من العدم، أي أنها أصبحت علة لذاتها، وجاء "ألبيرت انشتاين" يبين أن المادة نفسها هي تعديل "قانون سبنسر" ليصبح الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، بل تتحول من مادة إلى أخرى.

وهذا القانون يلقن لأي مبتدأ في العلوم التجريبية ما كان ليكون لو لا "سبينوزا".

[1]–بول ماس .ايمانويل كانط، النقد التاريخي، "المدخل في الدراسات التاريخية"، تر: عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1981م، ص 113–250.

2 –جون استيوارت مل:

إن استعصاء مشكلة الاستقراء على الحل وفقا لابستيمولوجيا العلم الكلاسيكي الحديث حتمية ،علية، اطراد، ضرورة، يقين، لم يكن يعني عقم الميتودولوجيا، فلسفة العلم، بل كان يعني عقم الاستقراء دالة وضرورة الانقلاب عليه من أجل الوقوف على البنية الحقيقية لنشاط العلمي بعبارة أخرى.

فالاستقراء من أعجب لخرافات قاطبة، التي هيمنت على عقول البشر، وهي الأعجب، لأنها حلت بأكثر لميادين عقلانية، فلسفة العلم.

ولقد حاول جل الفلاسفة التجريبيين حل المشكلة ولم يفلح أحد لاستحالة العثور على مبررات للقفزة التعميمية.

يقول هوايتد: "إن مشكلة الاستقراء هي بأس الفلسفة"، وأسماها برود "فضيحة الفلسفة"[1]، فالإنسان حتى في أشد بأدائيته لم يكن محض آلة تستقرئ وقائع الحس وتعممها، فلا أحد يستطيع أن يثبت له أنها جديرة بالتصديق، وأن هذه العادة لا تؤدي إلى أكثر من قصور في أسس العلم العقلانية.

ولقد حصر "راسل" الشك في صحة الاستقراء إلى صعوبة استنتاج ما لا يقع في تجربتنا، قياسا على ما قد وقع فيها.

حتى إذافرض إمكانية هذا الاستنتاج فإنه بالضرورة ذو طابع مجرد يعطي قدرا من المعلومات، أقل ما يبدو وأنه معطي لو استخدمت اللغة العادية[2].

وهكذا يؤكد "راسل" عدم إيجاده لحلول لغموض لاستقراء مبررا ذلك بميتافيزيقا ممتع كما قعل هوايتد.

وهكذا لم يعد العلم المعاصر يستعمل المنهج التجريبي كما نظر إليه "مل" بل استبدل بمنهج جديد، يسمى تقليديا بالمنهج الفرضي الاستنباطي ويتميز هذا المنهج أنه لا ينطلق كما كان معهودا في مستوى المنهج التجريبي الحديث بالملاحظة والتجربة، بل مباشرة من الفرض

---

[1]–يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، "منهج العلم منطق العلم"، المرجع السابق، ص 211.

[2]–مرجع نفسه، صفحة نفسها.

العلمي، والفرض به المعنى نفسه تقريبا، تقريبا الذي نبذناه عند حديثنا عن المنهج الاستقرائي الحديث، مع التأكيد على ضرورة التعبير الرياضي، للفرض عند المعاصرين، بحيث يأخذ الفرض عندهم شكل معادلة رياضية ،وبعد وضع الفرض يمر العالم المعاصر إلى اختبار صدقه[1].

لقد فكر الوضعيون الجدد في هذا الأمر واختلفوا في الحل، وقد وجدت ثلاث آراء متباينة في هذا المجال.

1-**شليك**: ويقول بإمكانية الاثبات التجريبي وبهذه الصفة ترتبط بصلة مع المنهج التجريبي الحديث.

2-**نويراث**: وهي يرى بأن التجربة لا تكفي بل لابد أيضا من الملائمة المنطقية للقضية التي نختارها مع القضايا الأخرى المعروفة، أو مع نتائج النظرية التي يصل إليها في مستويات أخرى.

-**بوبر**: يمارس العلم حسب بوبر باختبار الفرض عن طريق الاستنباط المنطقي فحسب نصوغ فرض علميا، أولا ثم استنباط نتائج منه، ثم نقارن هذه النتائج بعضها البعض لنكشف العلاقة المنطقية بينهما، مثل التكافئ والاشتقاق، بحيث يلجأ العالم دائما حسب بوبر إلى الملاحظة والتجربة ويستخدم معيار التكذيب[2].

وقد توصل الوضعيون إلى أن التجربة وحدها لا تدل على يقينية القضية بل طابعها احتمالي فقط، واستبدل اليقنين بالاحتمال.

في كتاب "مشكلات فلسفية" لراسل وتحت عنوان الاستقراء قدم تصورين هامين الاطراد وحوادث الطبيعة، ومبدأ الاستقراء، فهو يرى أن مهمة العلم هي التوصل إلى اطرادات للحوادث مثل قوانين الحركة وقانون الجاذبية.

وقد استشهد "راسل" في اثبات تبرير الاطراد لحوادث على قانون الجاذبية لنيوتن، بإضافة إلى نظرية "النسبية" العامة ل"انشتاين"، إلا أن شكوكا ارقته من خلال المقال الذي قدمه الدجاجة، إذ يقول: "قد يؤدي توقع الساذج لاطراد الحوادث الطبيعية إلى الوقوع في الخطأ

---

[1]-عبد القادر بشته، ابستمولوجيا، المرجع السابق، ص 64.

[2]- عبد القادر بشته، ابستمولوجيا، المرجع نفسه، ص 65.

فالإنسان الذي يطعم الدجاجة كل يوم طوال حياته يأتي يوم يقوم فيه بذبحها بدلا من اطعامها"[1]. مبرهنا بذلك إلى نظرة ادق للاطراد حوادث طبيعية كان من الممكن أن تكون أكثر نفعا للدجاجة.وهنا توصل "راسل" إلى نتيجة مؤداها أنه ينبغي علينا أن نسعى إلى الوصول إلى احتمال بدلا من اليقين.

"فكلما اقترانا الشيئين معا زاد احتمال وجودهما معا في وقت أخر، فكلما وجدا معا وجودا كافيا زاد احتمالنا أو اقتربنا من اليقين، لكن لن يضل إلى درجة اليقين لأنه قد يحدث اختلال في تكرار الحوادث المتعاقبة، مثل الدجاجة"[2]

تشكلت الوضعية المنطقية الأساس الفعلي في فلسفة العلم حيث اعتبرت، احدى المعايير التقليدية في تميز العلم واللاعلم، ويعتبر معيار التحقق أساسها.

ترفض الوضعية المنطقية كل ماله صلة بالتعميم واليقين ضمن العملية الاستقرائية، فالتعميم الاستقرائي يحتاج إلى افتراض قضايا ومصادرات يجب اثباتها بصورة منفصلة عن الاستقراء، و يتخد الحل الوضعي للمشكلة المنطقية مسلكا، يعتمد على حسابات الاحتمال المستخلصة بدورها من عملية استقرائية سابقة، تبرر تقديم القيمة الاحتمالية لقضية الاستقراء التي تواجهها، فتبرير الاستقراء يحتاج إلى مبدأ قبلي لانتظام الطبيعة واطرادها على الدوام، وهذا المبدأ العقلي ولا مجال لتحقق منه[3].

وهذا يعني أن التحقق يعتمد على الاستقراء، والاستقراء لا يمكن تبريره منطقيا، إلا عبر هذا المبدأ وبالتالي تكون حلقة أو دور فارغ مما يعني أنه لا يوجد ما يبرر معرفة المستقل طبقا للملاحظات الماضية، لكن مع هذا فإن أصحاب هذا الاتجاه يعتبرون أنه كان من الممكن معرفة المستقبل فإنه لا وسيلة لذلك يغير أداة الاستقراء فهي الأداة علمية الوحيدة رغم غير ضمانها.

---

[1]–دونالد جيلير، فلسفة العلم في القرن العشرين، تر: حسين علي، مرا: إمام عبد الفتاح إمام، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 108.

[2]–المرجع نفسه ، صفحة نفسها.

[3]–محمد باقر صدر، اسس الفلسفية للاستقراء، المرجع السابق، ص 79.

ويقول ريشنباخ: في هذا الصدد: "أن دراسات الاستدلال الاستقرائي تنتمي إلى نظرية الاحتمالات، فمهما كانت الوقائع الملاحظة فإنها لا تجعل النظرية العلمية يقينية بل محتملة او مرجحة"[1].

بوبر*:

يمكن أن نسجل ملاحظات ثلاثة ل"بوبر" مصدر المعرفة، المنهج المتبع لتأسيس النظرية العلمية بخطوات (الملاحظة والتجربة والفرض)، ثم الاستقراء كأهم نقد.

فيم يخص مصدر المعرفة ناقش "بوبر" في كتابه "حدوس وتفنيدات" كيف يميز بين المعرفة ومسائل صدقها، كيف يتسنى اكتشاف الخطأ واستبعاده[2]، كما نقد خطوات المنهج التجريبي.

كيف نبدأ بملاحظة خالصة دون فرض مسبق ومن تكرار هذه الملاحظات تتكون الفروض، ثم نجري اختبارات لإثبات الفروض وصدقها ونرقى إلى مستوى النظريات، بوبر يرفض هذا التصور، لأنه لا يمكن أبدا أن تسبق الملاحظة التجربة، فنحن في احوالنا العامة، نرى ان النظرية تسبق الملاحظة فهي التي تخبر وترشد العالم أي الملاحظات جديدة بأن يقوم بها، فالنظريات هي التي توجه العالم أي خواص تعنيه في موضوعه.

ويصف بوبر منهجه بأنه "الاستنباطي يعتمد على التوصل إلى نتائج عن طريق منطقي بحت"[3]، في مقابل الاستقراء الذي يعتمد على البيانات والوقائع الجزئية بالدرجة الأولى، ومن بيان التعارض بين منهج الاستقراء والاستنباط يشير "بوبر" إلى:

---

[1]– محمد باقر الصدر، اسس الفلسفية للاستقراء، المرجع السابق، ص 80.

*–بوبر: باحث في فلسفة العلوم، نمساوي 1902م، درس الفيزياء والرياضيات، الفلسفة بجامعة فيينا، عرف بكتابه "منطق الكشف"، 1935م، عرف بنزعته الاستقرائية، ينظر: موسوعة عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 370.

[2]–محمد محمد قاسم، كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، ط1995،1م، ص 268.

[3]–كارل بوبر، عقم الذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صبرة، منشأ المعارف، الإسكندرية، 1959م، ص 160.

أولا: إن التعارض بين الاستنباط والاستقراء يناظر التمييز بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي، فإذا كان ديكارت قد تصور العلوم جميعا في صورة أنساق الاستنباطية ممثلا أصحاب الاتجاه الاستنباطي فإن بيكون ومن سلكه من التجريبيين الإنجليز قد تصور العلوم قائمة على جمع الملاحظات واستنتاج التعميمات عن طريق الاستقراء ويمكن أن نتصور ذلك بين جون ستيوارت مل وسبينوزا.

لكن استنباط بوبر يختلف عن الاستنباط لكل من ديكارت وسبينوزا فالاستنباط في المنهج العقلي، يعتمد على مبادئ أو مقدمات تكون صادقة وواضحة، وقائمة على حدس عقلي، أما بوبر فمقدماته فروضا وتخمينات أو حدوس مؤقتة.

أما نظرية لمبدأ العلية، فيصرح بوبر "إنني لن أقبل أو رفض مبدأ العلية وإنما ببساطة اقتنع باستبعاده كمبدأ ميتافيزيقي"[1].

ويمكن تصور منهج العلمي البديل والاستقراء التقليدي على هذا النحو خطوات الاستقراء:

- ملاحظة وتجربة.
- تعميم استقرائي.
- وضع فروض.
- محاولة التحقق من صدق الفروض.
- الاثبات أو النفي.
- المعرفة.

خطوات منهج الكشف العلمي أو المنهج البديل:

- مشكلة ترجع في العادة إلى نظرية أو توقع.
- حل مقترح ومؤقت أي فرض ونظرية جديدة.
- استنباط قضايا قابلا للاختبار من النظرية الجديدة.
- إجراء اختبارات وهي عبارة عن محاولة تفنيد تتم بوسائل عدة من بينها الملاحظة والتجربة.

[1]-كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 99.

- تفضيل إحدى النظريات من بين النظريات المتنافسة.

يرى بوبر أنه يمكننا الحصول على معرفة علمية دون استخدام خطوات الاستقراء، حيث يمكننا الاختبار بين النظريات العلمية المتناقضة دون الاستعانة بالاستقراء ويقصد به طرق، التحقق من الفروض كما أدلى بها " جون ستيوارت مل"[1].

فالاستقراء القائم على العادة والتكرار مجرد خرافة، أما إذا نظرنا إلى الخبرة كمصدر الصدق فسوف نواجه مشكلات أهمها وأبسطها أن محاولة البرهنة عليها، سوف تقوم على استدلالات استقرائية، وإذا حاولنا تبريرها سنفرض مبدأ استقرائيا أخر، وهكذا الاستقراء كمبدأ منطقي مستقل يعد عاجزا، إما لكونه مستمرا من الخبرة أو من مبادئ منطقية أخرى.

هكذا كان موقف بوبر من الاستقراء المنهج والمبدأ، والرفض التام لعدم ملائمته لتطور العلم، رغم اتهامه بعدم حل مشكلة الاستقراء ورغم تصريحه بأنه لا يعنيه إطلاقا، وإنما سعى لإثبات تهافته كعيار لنظريات العلمية والحاجة لمعيار يناسب النظريات العلمية المعاصرة.

وهكذا "المنهج الفرضي الاستنباطي" كبديل "للاستقراء" يبدأ بفرض صوري يستحيل اشتقاقه من الخبرة، قد يكون حصيلة معرفية لوقائع التجريبية أو من عبقرية الخلاقة، لا يهم المصدر، ثم بخضع هذا الفرض لتحقيق من خلال استنباط منطقي ورياضي نتائجه الجزئية ثم يقارن بين الوقائع والتجريب، هذا بمثابة تسليم مؤقت بالفرض، وهنا يمكن تعديله أو الاستغناء عنه والالتجاء إلى غيره، كما اسلفت سابقا مع ماكسويل.

وهذا هو منهج العلوم البحتة في كل مراحله، وبذل الباحثون جهودا شبيهة بمنهج بوبر، وقد اعتبروا أن هذا المنهج هو الذي اتبعه نيوتن في بحوثه وليس الاستقراء لأن أسسه اللغة الرياضية ومعادلاتها[2].

[1]–محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، ص 65.

[2]–كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 119–220.

المبحث الثالث: قراءة نقدية لفلسفة "جون ستيوارت مل" و"سبينوزا":

لقد كانت العقلانية وبغير نظير ينافسها عبر التاريخ، الملهم الاعظم لثورات الاجتماعية والأخلاقية، وهي عملت على اصلاح الانسان، والثورة على دوغمائية الدين، وعلمته على أن يحاول اصلاح الحياة الدينية، والتي حفزته على السعي وراء التحرر العقائدي والاجتماعي والسياسي، لقد شجعت الانسان أن يفكر من أجل نفسه المستقلة، وأعطته الأمل في المعرفة فبواسطتها يستطيع أن يحرر نفسه، ويحرر الآخرين من العبودية والبؤس[1].

فقد أصبحت النزعة التي تؤيد على استقلالية وحرية الانسان، ورغم أنها كانت أساس المعني لحديث صرامة الانسان والمطالبة بتربية والتعليم والتثقيف الشامل وأفضل نموذجين هما سبينوزا وجون ستيوارت مل في مجالات العلوم المختلفة، الاخلاق، الساسة، التربية، الدين.

لقد جعلت الانسان يبحث عن الحقيقة بنفسه من خلال حواسه وعقله لا يعتمد على أي سلطة خارجية منفصلة عن عالمه، يخشى منها ولا يعلم حدودها أي تجاوز مرحلة العصور الوسطى.

إلا أن العقلانية الكلاسيكية كما يرى بوبر "انموذج للفكرة الخاطئة السيئة التي تلم بأفكار رائعة"[2]، لأن بلوغ اليقين مستحيل والحقيقة ليست بينة.

لقد كان كل من "سبينوزا" و"جون ستيوارت مل" متعصبين لاتجاهيهما أيما تعصب، جعلهما يغفلان عن الحقيقة الكاملة، باعتقادهما بأن الحقيقة البينة والمعرفة اليقينية سهلة المنال، من خلال البحث عن اليقين الكامل، وتصور كل منهما أن مصدره النهائي للمعرفة القاطعة ومن بين أهم الاثار السلبية للعقلانية.

أ-طالما أن الحقيقة بينة لكل من يراها، فلقد أصبحت العقلانية أساس التطرف التعصب، فيرفضون رؤية الحقيقة البينة ويسعون لإخفائها بتعصبهما لنزعتيهما.

ب-يساهم في انحراف المذهب التسلطي ذاته، عقليا كان أو تجريبيا وذلك بطريقة غير مباشرة، مع أن الحقيقة جلية وواضحة، والأجدر أن لا يختلفا عليها اثنان، لكن الواقع عكس

[1]-يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، المرجع السابق، ص 107.

[2]- يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع نفسه، ص 108.

ذلك، مما جعل البحوث الابستيمولوجية بحاجة إلى التأويل والتأكيد مما يؤدي إلى الحاجة في تكوين سلطة دائمة تحكم المعرفة[1].

لذلك لابد للعقل البشري من التحرر من دوغمائية الخضوع لسلطة معينة، وهذا ما فعلته العقلانية الكلاسيكية، تحررت من السلطة اللاهوتية، الدينية الأرسطية لكنها بدلت سلطة بأخرى ولا جديد البتة.

-العقلانية العقلية (سبينوزا):

استبدل سلطة الكنيسة والانجيل وأرسطو سلطة العقل أو الحدس العقلي ويبدوا له واضحا ومتميزا وغير مصدر الحقيقة القصوى القاطعة اليقينية التي لا تنافس ،ووضع سبينوزا بدل الله (العقل).

-العقلانية التجريبية (جون ستيوارت مل):

جون ستيوارت مل غير مصادر الحقيقة القاطعة للقرون الوسطى "الكنيسة الإنجيل والقياس ارسطي"، واستبدلها بسلطة أخرى، منتهجا طريق استاذه بيكون، فوضع مكان الله (الحس).

لقد كان بوبر من أهم منتقدي التخصص في المعرفة خاصة في مجال العقلانية الكلاسيكية وقد حارب التخصص الدقيق، فهو يعتبر نفسه هاوي للعلم والفلسفة، وقد أقر بضرورة التعبير في الخطأ، مما يجنبنا مهاوي النزوع في الكمال، فالخطأ هو القدر الذي لا مفر منه وهذا يؤسس "بوبر استحالة المعرفة بأي أسس او مصادر غير قابلة للخطأ، لا في العقل ولا في الحس، أي استحالة اليقين ودعواه إلى العقلانية النظرية، التي هي أساس العلم المعاصر.

[1]- يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، المرجع السابق، ص 109.

انتقادات لفلسفة سبينوزا:

يدرس سبينوزا في مؤلفه الذي كتبه "الاخلاق" الأهواء وكان الأمر يتعلق بخطوط وسطوح وأجرام، ويبدأ بتعريف مجموعة من المسلمات تتبعها البرهنة، على عدد من القضايا واستخلاص النتائج كما عند إقليدس وقد تصور الرياضة حسب هندسة إقليدس.

رغم ذلك وجد صعوبات أثناء تحرير المبادئ وتردد في اختيار البراهين وربما القضايا، لذلك كان يأتي ببرهانين مختلفين أو ثلاثة لبعض القضايا.

تحدث سبينوزا عن النمط الهندسي لكنه لم يكن في جميع كتبه، فقد كتبه، فقد كتب فلسفته ولاهوته ونظريته السياسة بطريقة حرة، لكن يتساءل شراحه، إذا كانت هذه الصورة الهندسية من جوهر فلسفته فلم يروا من منهجه الهندسي سوى صورته الأدبية، إضافة إلى أنه يمكن من غير استخدام الطريقة الصورة الرياضية أن يعيد كتابه الاخلاق ويبقى المضمون كما هو.إن سبينوزا يفكر بطريقة رياضية وذلك ليس اعتقاده لحتمية دقيقة، بدل أن يقبل العلة الغائية والحرية[1].

لقد اعتبر البعض أن الصورة الهندسية في كتابه "الاخلاق" ليس لها أي سمة علمية، وأن الأمر لا يتعلق فيها إلا بترتيب منطقي يشكل على أقصى بناء مصطنع ومنهم" ليبنز" الذي يرى في مناهج سبينوزا سوى لباس أو أسلوب خطابي، وقال "ياسبرز "أن سبينوزا لا يقيم فلسفته على الرياضيات بالرغم من هذا المناهج الدي يزعم أنه هندسي ويستعمله في عرضه، كما أنه لا يوجد في الاخلاق أثر لروح الاكتشاف الرياضي أو نوع اليقين الخاص بالرياضيات وليس بطريقة سبينوزا علاقة بالعلم الحديث"[2].

يتناول النقد الظواهر المعلومة بالملاحظة الظاهرة والباطنة، وهي كثيرة فيحولها إلى نتائج اقيسة تحويلا صناعيا ويضع لذلك تعريفات هي أحرى بأن تكون مطالب تقتضي البرهان ،من أن تكون مقدمات أو مسلمة للبرهان، ومن المبادئ والتعريفات ما يعارض بعض البعض[3].

---

[1]–طاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المرجع السابق، ص 115.

[2]– طاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المرجع نفسه ، ص 116.

[3]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 104.

مثال: لكي يبرهن أن الجوهرين متغاير لن يحدث أحدهما الأخر، يستند إلى مبدأ يقول أن شيئين ليس بينهما شيء مشترك، لا يكونا علة ومعلول، ولكي يبرهن على أن العقل الإلهي لا صلة له اطلاقا بالعقل الإنساني، يستند إلى مبدأ يقول ليس بين العلة والمعلول شيء مشترك، واحيانا يأتي ببراهين على عكس أو نقيض المطلوب، مثال: "لا لوجود جوهران متشابهان". وبرهان يذهب إلى أنه "لا يمكن أن يوجد جوهران متغايران"[1].فالعقل والارادة ليسا مما يعود الى طبيعة الله ،لان الله يعمل وفقا لقوانين الطبيعة وحدها دون تدخل خارجي، وهكذا تلتقي في الله الضرورة والحرية ،فمن ناحية يكون الله سببا حرا ومن لا يخضع إلا لقوانين الطبيعة ومن ناحية ان كل ما يفعله الله يصدر عن طبيعة وحسب قوانينها وهدا خلق تناقضات في فكر سبينوزا.

أحيانا يبرهن على المبادئ كأنها مطالب، وقلما يجيء البرهان برهان بمعنى الكلمة، أي موضحا المطلب، ومنهجه المألوف أن يحيل القضية الموجبة سالبة ثم يبرهن على هذه بالخلف، كأن مقصده منع الرد عليه.

لقد قسم أو وزع ديكارت الظواهر إلى الطبيعة إلى مادية وأخرى فكرية ثم عجز عن تفسير العلاقتين جوهري النفس والجسم، لكن سبينوزا نظر أن "العلة والمعلول ليكونان من نوع واحد"، وبدليل أن ما يكون بالمعلول دون العلة، مصدره العدم وذلك لأن الكل واحد ضروري، والجوهر الواحد علة لجميع الظواهر، ولذلك كما ذكر سابقا محى كل الثنائيات الله والعالم، النفس والجسم، لما يقتضيه المذهب الواحد في محو كل التمايزات، وانتهى إلى الآلية وهي مجال العلم الحديث، متجاوزا الغائية التي كانت في العصور الوسطى، واقتصرت العلية في نظرة على الترابط، المنطقي دون الوجود أو الفاعلية، والوجود مطابق للمعني والعلاقات التي يكشفها العاقل بنفسه[2].

وهكذا وقع في صعوبات، فهو من جهة الواحدة لم يوفق بين وحدة الجوهر وكثرة الصفات والأحوال، لم يتبين كيف يصدر عن الجوهر الواحد الثابت غير المعني صفات واحوال نهائية.

---

[1]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق، ص 104

[2]–سبينوزا، الاخلاق، المصدر السابق، ص 05.

لم يبين أن الجوهر أو في صفتي الفكر والامتداد ضرورة منطقية لتخصص في أحوال جزئية، فقد أخذ من ديكارت الصفتين وأحوالهما وأصنافهما للجوهر إضافة خارجية[1].

تعريفاته للجوهر والصفة والحال غير مترابطة تؤلف ثلاث مبادئ منفصلة كما أن سبينوزا لم يتفادى التفاعل كما أراد.

يقول بنوعين من العلاقات العلية، علاقة داخلية بين الجوهر والصفات والاحوال، وعلاقة خارجية بين الأحوال وبعضها ببعض، كيف وفق بينهما ؟كيف صاغ قبول العلية الخارجية من الأحوال.

محى التمايز الجوهري بين الفكرة الصادقة والكاذبة، أي انساق إلى محو التمايز الجوهري بين الخير والشر، وذلك بأن الشر فكرة ناقصة تعتبر كاملة، وأن ليس هناك سوى درجات في طلب الخير، فأقام مذهب لا أخلاقيا بالرغم من دعواه وأكثر الحرية والغائية والتمايز بين الممكن والضروري.

مذهب يؤله الطبيعة ولا يعترف بموجود شخصي مفارق لها، مذهبه كله مليء بالألفاظ توهم أن لها مدلولات وهي لا تدل على شيء[2].

ويرى البعض أن منهاج سبينوزا اكسيومي بالمعنى الحديث، لأنه هذا الفيلسوف لا ينطلق من أوليات ومعطيات دائما، أي مطلقة بل يعتبر أننا نستطيع اختيار أولياتنا بكيفية تعسفية نسبيا، وأن نستخلص من هذه الأوليات بعض المبرهنات، إلا أنه يمكن في حالة أخرى أن نتخذ كأولية ما استنبطاه أول مرة كمبرهنة[3].

كما رغم الذين قاموا بتفكيك استدلالات سبينوزا قطعة قطعة، إنه لا يسير دائما بطريقة قبلية، ويقتصر دائما على تحليل ما يلاحظه من وقائع، وتعتبر استدلالات متباينة إلا أنها مغلقة بخيط من اللغو.

---

[1]–جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، تر: فؤاد كامل، مرا: فؤاد زكريا، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة، ص 16.

[2]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 116.

[3]–الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المرجع السابق، ص 117.

فيما يرى هيجل أن سبينوزية فلسفة ناقصة من حيث الانعكاس التأملي وتعيينه المتنوع هو فكر خارجي، إضافة إلى تأسيسه لجوهر واحد، ويتوقف على السلب، فلا يمضي حتى في معرفة هذا السلب نفسه، بوصفه سلبي مطلق.

صحيح ان الجوهر وحدة مطلقة للفكر والامتداد، إنه يحتوي على فكر ذاته، لكن بوحدته مع الامتداد، ليس بوصفة منفصلة عنه، ولهذا ينقص الجوهر مبدأ الشخصية، وهذا النقص الذي أثير اكثر من غيره ضد مذهب سبينوزا[1]، لأن جوهر الذي تصوره سبينوزا ليس له القدرة على وضع تعيناته، هذا ما جعله مبدأ، مجرد غير مشخص.

وهكذا استشهد هيجل بالمونادات عند ليبنز لأنها خالية من نقائض الجوهر عند سبينوزا، إن تقدم المنطق عند سبينوزا يشبه النظرية الشرقية في الصدور الذي هو فقدان متواصل فحسب، وليس تحليلا متوصلا، بل هو ظلام تدريجي للمطلق، سبينوزا أخفق في جعل الجوهر لما تصوره روحا (أو عقلا) فعال[2].

[1]–عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 311.

[2]– عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المرجع نفسه، ص 312.

انتقادات لفلسفة جون ستيوارت مل:

يقول "ريشنباخ" أن المأزق الذي يقع فيه صاحب النزعة التجريبية إما أن يكون تجريبيا كاملا ولا يقبل بنتائج سوي القضايا التحليلية أو المستمدة من التجربة، وعندئذ لا يستطيع القبول باستقراء، ويتعيبن عليه أن يرفض أية قضية عن المستقبل، وإما أن يقيل بالاستدلال الاستقرائي وعندئذ يكون قد قبل بمبدأ غير تحليلي لا يمكن استخلاصه من التجربة وبذلك يكون قد تخلى عن التجربة أو التجريبية، وهكذا انتهت التجربة بالقول بأن معرفة المستقبل مستحيلة"[1].

وهذا دليل على أن الاستقراء يخرج عن نطاق التجريبية البحتة، لقد وجهت انتقادات لجون ستيوارت مل سواء من حيث المنهج أو الفلسفة. طرح "مل" في بداية المنهج التكرار في الوقائع والحوادث، خلاصته أنه إذا كانت هناك ظاهرتان أو أكثر قد تكرر وقوعهما بكثرة، نستنتج أن العلاقة نسبية ثابتة، وإذا لم يتكرر الوقوع على شكل متواتر فالعلاقة بينهما صدفوية، وهو منهج يعبر عن نفسه الصدفة لا تتكرر أكثريا أو دائما.

لكنه يتراجع عن هذا المبدأ وينتقده ، التكرار المتوافر رغم عدم وجود علاقات نسبية ثابتة، لعلمنا بكون الصدفوية، كما يمكن أن توجد ظواهر لا تتكرر رغم ما تنطويه من علاقات نسبية ثابتة، والمسألة ليست فيما إذا كان الوقوع يتكرر أو نادر وانما في ما إذا كان يتحقق أكثر مما تسمح الصدفة.

"مل" لم يصل إلى ضابط محدد لتميز بين علاقات السببية والصدفوية واكتفى بوضع طرق نصح باستخدامها كأداة استخلاص السببية ضمن منهج الاستقراء العلمي كما اعتبرها لا تصلح لجميع الحالات[2].

حصر قوانين كشف السببية كما أنها لا تبرر درجة اليقين، إضافة إلى أنه لم يعزز أهمية للفرض العلمي، بحجة أنه يطلق العنان لخيال الباحث فتظلله وتجعل للظاهرة الواحدة العديد

[1]–هاينز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا، دار الوفاء لطباعة والنشر، اسكندرية، د.ط، 2004م، ص 86.

[2]–احمد بدر، أصول البحث و مناهجه، المرجع السابق، ص 273.

من الحلول والتفاسير[1]، قوانين "مل" تقنيات لتحقيق المراقبة ولا تستطيع الاكتشاف كما ظن "مل" كما أنها لا تسمح بالتمييز بين المترابطين أيها العلة وأيهما المعلول.

-إضافة إلى اضطرابه بين عدد مناهجه بين أربعة وخمسة.

-منهجي الرواسب والتلازم في التغيير يعتمدان على المناهج الثلاثة الأولى.

-منهجي الجمع بين الاتفاق والاختلاف، ليس سوى ربط بين المنهجين الأول والثاني، دون أي إضافة، وليس المنهج الثاني سوى نفي أو عكس الأول، ولم يبقى سوى الأول وهو معروف لدى بيكون.

أكد "مل" بأن الحقائق الرياضية 5+7=12 إنما يستدل عليها بطريقة الاستقرائية، محاولا إدراج الاستدلال الاستنباطي تحت الاستدلال الاستقرائي، وذلك من خلال قوله أن المعرفة الرياضية أو الحقائق الحسابية البسيطة ليست سوى مزاعم استقرائية[2].

لم يقبل "مل" هذه الحقائق بأن يستدل عليها استقرائيا مثلها مثل التعميمات العلمية، وبحث لها عن مصدر آخر، وذلك من خلال بحثه في أعمال كل من "بيانو" و"فريجه" فكانت فكرة راسل الأساسية هي رد الرياضيات إلى المنطق.

اعتباره علم الأخلاق علما طبيعيا تجريبيا، لأنه يصطنع الاستقراء في دراساته، فالخير والشر والصواب والخطأ، والوحي والالزام الطبيعي، والافكار الفطرية، أو القوى الحدسية، تستمد من الخبرة الحسية، ومن الحالات الجزئية[3]، وذلك من خلال بحوثه في مجال الاستقراء التجريبي أفضى به إلى الكشف عن القوانين العامة، والتي لا توجد طريقة للوصل إليها إلا بواسطة الاستقراء لأن الظواهر تجري على نسق واحد.

جون ستيوارت مل ملوم لإصراره على المذهب بعد أن لمس نقصه في نواحي كثيرة، ولكنه استنشقه من بيتة وبيئة، ولم يوافق إلى فهم المذهب العقلي على حقيقته، فكان ما كان من الخلط، فورث عن سلفه نقائص بالجملة كانت كفيلة بالحكم على النفعية، وعلى المدرسة التجريبية عموما بالفشل في تأسيسها.

---

[1]-محمد باقر الصدر، اسس افلسفية للاستقراء، المرجع السابق، ص 87.

[2]-وندي دونز .ريتشارد فمرتون، جون استوارت مل، المرجع السابق، ص 53.

[3]-توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، المرجع السابق، ص 102-104.

فاستسقى فلسفته الأخلاقية من "بتنام" وتلقى علم النفس من أبيه "جيمس"، أخذ نظرية المعرفة "دافيد هيوم"، درس الاقتصاد السياسي على يد "مالتوس و"ريكاردو" واستمد نظريته في الميتافيزيقا والدين من عن اللاإدرية التي سادت تفكير هؤلاء.

وقع "مل" في مغالطات وغموض التركيب، وهو يعتبر السعادة مجموعة هي خير لمجموع أفراده أي إذا جمعنا السعادة الأفراد فردا، سيتحصل على سعادة المجتمع ككل ، وهي المغالطة التي بنيت عليها مفاهيم الحرية المطلقة في الحصول على الخير واللدة الشخصية لأن في سعادة الفرد تكمن سعادة المجموعة[1]، اخضاع المنفعة الذاتية للمنفعة الكلية.

وهي تناقض باسم أي مبدأ يقترض الفرد اختبار منفعة المجموعة دون غيره، تناقض بادي للعيان، وهو تناقض المذهب الحسي، من كل النواحي، يطالبون اللذة ويجتنبون الألم، الخير يؤدي اللذة والعكس.

[1]–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 330.

خاتمة

أسس العقليون والتجريبيون لفلسفة العلم في العصر الحديث من خلال تجاوز القياس والاستقراء الارسطي ومرحلة العصور الوسطى، وتجل هذا التأسيس في فلسفة كل من سبينوزا وجون ستيوارت مل، من خلال:

أولا: سبينوزا ينتمي إلى المدرسة العقلانية التقليدية، وهو بناة الأنظمة الفلسفية وخاصة المنهج العقلي، متأثرا بإيحاءات الهندسية لإقليدس كانت له ثقة لا تتزعزع بالعقل البشري على الوصول على رؤية يقينية مطلقة بواسطة البديهيات والاستدلالات الاستنباطية. لقد اتبع سبينوزا المنهج الديكارتي القائم على الاستدلال والاستنباط الرياضي كتجاوز لعقم القياس الارسطي،

يتميز "الاستنباط الرياضي" عن القياس بالتعميم والابتكار الذي ينشأ من الخيال الرياضي فهو استدلال يكون فيه الانتقال من البسيط إلى المركب، من الخاص إلى العام، عكس القياس الذي نتائجه اخص من مقدماته. مرتكزا على اسس كالتعريفات والمسلمات والبديهيات .

المعرفة عند سبينوزا تبدأ بإدراكات بسيطة وثابتة ثم تنتقل الى الاستنباط عقلي من خلال الانتقال بالذهن من المجهول إلى المعلوم بشكل برهاني والبحث عن الحقيقة يبدأ بإدراك بالحدس، والمعرفة ليست بمستوى واحد من اليقين ، فالمعرفة السماعية لا يمكن الوثوق بها لأنها تنشأ مما يتناقله الناس وهي خاطئة ، المعرفة التجريبية الاستقرائية وهي ظنية مهلهلة يحصل عليها الفكر من ادراك الجزئيات عن طريق الحواس، المعرفة الاستدلالية وهي استنتاجية احتمالية لا ترقى الى درجة اليقين، أما المعرفة الحدسية فهي أسمى المعارف، وهي نموذج اليقين الصارم مؤكدا على ان اكثر العلوم يقينا هي الحدس والاستنباط و المنهج المطلق "المنهج الرياضي

الفكرة لصادقة أو الواقعية وهي معيار الصدق، لأن أساسها العقل ومنها ننتقل من الفكر إلى الوجود لإثبات وجود الله على الطريقة الهندسية بالبراهين، وبمنهجين صاعد ونازل، يقدم فيها حقائق عن الله والعالم بصورة تعاريف تؤكد فيها أن هناك جوهر واحد هو الله والعالم مظهر من مظاهره، وهو لا نهائي، والحقيقة ثابتة ويقينية.

كما يعتبر سبينوزا الفيلسوف المركزي في الفلسفة الحديثة، خاصة في المنهج التاريخي لدراسة الكتاب المقدس دراسة عقلانية علمية، وهو اول من تجرأ على نقد المقدس و التنظير لدولة الوطنية دون خلفيات عرقية أو دينية، وهناك جملة تنتسب إلى هيجل في وصف فلسفة سبينوزا فيقول: "أما

أن يكون المرء سبينوزيا أولا يكون فيلسوفا على الاطلاق". اما ارنست رينان فقد وصفه بالمثل الاعلى للفكر الفلسفي ،فقد كانت له اسهامات في العديد من المجالات المعرفية والاجتماعية والسياسية كنتيجة لرخاء الاقتصادي والمناخ الفكري المتحرر الدي كانت تعيشه هولندا والذي ساعد سبينوزا في ان يكون من اكبر فلاسفتها و تياراتها الفكرية و الثقافية .

ثانيا: جون ستيوارت مل انتقد الاستقراء الارسطي وأقر بعدم جدواه في المعرفة العلمية، لأنه لا يأتي بجديد غير ما هو مثبت في المقدمة الكبرى، فالاستقراء ينتقل من المعلوم إلى المجهول عكس الاستقراء الارسطي الذي يكتفي بتخصيص ما هو معلوم.

ففي كتابه "نسق المنطق " يضبط عمليات البحث التجريبي التي تؤدي الى نتائج سليمة و معرفة علمية صحيحة المتمثل في منهج الاستقراء الدي يعتمد على ثلاث خطوات، هي الملاحظة والتجربة بإضافة إلى مرحلة الفرض، الدي هو بمثابة تفسير للملاحظات والتجارب، والتحقق من الفرض فإذا أيدته الوقائع في الحاضر أو المستقبل القريب كان فرضنا ناجحا ومنه يتحول إلى قانون علمي، وهذا الأخير يخضع إلى أساسين مبدأ اطراد الحوادث ومبدأ العلية.

يؤكد جون ستيوارت مل على أن مبدأ العلية ليس عقليا، وإنما هو تعود العقل على أن يتوقع حدوث لاحق متى وقع السابق، وأن معنى المعلول لا يمكن استنتاجه من معنى العلة، كما يقول هيوم وإنما يشاهد الناس ظواهر يتبع بعضها البعض، فينتهي بهم الاعتقاد بأن السابق علية اللاحق.

وتصور الاطراد ليس تلك الضرورة القائلة أن الحوادث التي ألفنا رؤيتها بشكل منتظم لن تحدث غد "مثل شروق الشمس"، هذه لا يعتبر عدم اطراد، بل هي قضية كاذبة فحسب، لكنها غير متناقضة لذاتها.

كما انه لا يمكن الوصول إلى إطرادات في الطبيعة عن طريق الاستنباط لأننا لانعرف صور المقدمات. والاستنباط يرتكز على صدق المقدمات .

وان الاطراد ناتج عن الخبرة الإنسانية المتمثلة في الملاحظات اليومية، التي تؤكد الاطراد وتدعهمه، ولا شك أن زبدة المنطق عند " جون ستيوارت مل" هي طرق الاستقراء، طريقة الاتفاق ، طريقة الاختلاف ، طريقة الاختلاف و الاتفاق ، طريقة البواقي ، طريقة التغير النسبي ،

والتي تبلورت لديه وتحولت إلى طرق البحث عن العلة في عالم الظواهر، فلا شيء يحدث بدون علة، والظواهر تسير وفق نهج واحد في انسجام وتسلسل .جون ستيوارت مل اخد على عاتقه تحديد مجال العلم الحديث ، ويذهب الى ان غاية العلم هي البحث عن العلل و يقصد بها العلل الفاعلة ، هدا بالرغم من هجومه العنيف على الميتافيزيقا و المنهج الارسطي

كما كانت له هو الثاني اسهامات مستديمة في مجلات المعرفة المختلفة الاخلاقية والسياسية و الاجتماعية فقد استسقى جون ستيوارت مل فلسفته الاخلاقية من بتنام، وتلقى علم النفس من أبيه "جيمس" ، اخذ نظرية المعرفة عن دافيد هيوم، درس علم الاقتصاد السياسي على يد "مالتوس" و"ريكاردو".

ونتيجة لتطورات العلوم في القرن العشرين حدثت زعزعة في كلا النموذجين، والمنهج العلمي المعترف به في ضوء التطورات الحاضرة للعلم، يسير من الملاحظات إلى التجارب، ثم إلى الاستنتاج العقلي وإلى التجارب مرة أخرى، أي أن العنصر التجريبي والعنصر العقلي متداخلان ومتبادلان.

كما أن الاستقراء الذي تتقيد فيه بالظواهر الملاحظة والاستنباط الذي نستخدم فيه عقولنا، متداخلان بينهما، ولا يمكن أن يعد أحدهما بديلا عن الآخر، فالتجريبية والعقلية ليسا في العلم منهجين مستقلين بل مرحلتان في طريق واحد، وفي أغلب الأحيان يكون العلم في بدايته تجريبيا، وعندما يتضح يكسب جانبا من تلك الصيغة العقلية الاستنباطية.

يقول "كانط" إن الإدراكات الحسية بدون الفكر عماء، والفكر بدون إدراكات حسية أجوف خاو، إذن لابد من وجود الاستقراء إلى جانب الاستنباط لقيام الفكر والمعرفة السليمة.

وعلى ضوء هذه التطورات الحاصلة يمكننا أن نتساءل متى ينبغي أن تعد نظرية ما علمية؟، هل ثمة معيار يحدد الصفة العلمية او الوضع العلمي لنظرية ما؟، ما هو المنهج الأنسب لوضع النظريات العلمية"، هل استطاع "العلم المعاصر" أن يتجاوز آراء المدارس التقليدية العقلية والتجريبية؟ وما هي خطوات ومميزات المنهج العلمي المعاصر؟.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم:

المصحف الشريف، برواية حفص عن عاصم بن نافع، وذلك باشراف الهيئة العليا من كبار علماء بلاد الشام، لسماحة الشيخ طيب محمد ابو البسر عابدين رحمه الله، الجمهورية العربية السعودية، 50-02-1977م

أ-المصادر بالعربية:

-سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسين حنفي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1982م.

-سبينوزا، علم الاخلاق، ترجمة: جلان الدين سعيد: كتورة، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

-سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، د.ط، 1990م.

-جون استيوارت مل، الحرية، تعريب: طه السباعي، مراجعة مؤسسة مكتبة ومطبعة الشعب، ط1، يناير 1922م.

-جون استيوارت مل، أسس الليبرالية، إمام عبد الفتاح، ميشيل متياس، مكتبة مدلولي، د.ط، 1996م.

-جون استيوارت مل، عن الحرية، ترجمة: سعيد شحاتة، شركة الأمل لطباعة والنشر، د.م، د.ط، 2012م.

-جون استيوارت مل، النفعية، ترجمة: سعاد شاهرلي حرار، مراجعة: غالب ناهي، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمراء، بيروت، ط1، يونيو 2012م.

ب-المصادر بالأجنبية:

-Spinoza. Benedic, on The important of the understanding translated by R.H.M ELMES, Dover publications, New york, 1955.

- Spinoza. Benedic, Apolitical treatise translated by R.H.M ELMES, Dover publications, New york, 1951.

-J.S.MILL, systeme of logic, Rationative and induction, book N_Viand Appendices Edition of the text, J.M.Robson Paul ledge and kegan paul, London 1972.
-J.S.MILL, Systeme de logique deductive et inductive, tard, l peisse 3aad paris, alcan, 1889.

أ-المراجع بالعربية:

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2001م،

2-إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2000م.

3-إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، 1999م.

4- اتيان بالبيان، سبينوزا والسياسة، ترجمة: منصور قاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1931م.

5-أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومنهاجه، المكتبة الآكاديمية، الدوحة، د.ط، 1994م.

6-بول ماس، ايمانويل كانط، النقد التاريخي، المدخل في دراسات التاريخية، تردمة: عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1981م.

7-بول هازال، أزمة الوعي الأوروبي، ترجمة: يوسف عاصي، سليم بركة، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، يونيو 200م.

8-ت.دفيد. ب.رزنيك، اخلاقيات العلم، ترجمة: عبد النور عبد المنعم، مرجعة: يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، يونيو 2005م.

9-توفيق الطويل، جون استيوارت مل، دار المعرفة، مصر، د.ط، د.ت.

10-جعفر آل ياسين، الفرابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م.

11-جاني فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة.

12-جماعة من الأساتذة السوفيات، موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة: توفيق سلوم، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

13-جيفياف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، بيروت، لبنان، ط2، أكتوبر، 1977م.
14-جون كوتنهام، العقلانية "فلسفة متجددة"، تعريب: محمد منقد الهاشمي، مركز الانهاء الحضاري، حلب، ط1، 1997م.
15-جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، ترجمة: راوية عبد المنعم عباس، دار المعرفة الجامعية، اسمكدرية، د.ط، 1987م.
16-حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1401هـ-1981م.
17-حسن حنفي، قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ج2، ط3، 1988م.
18-خليل أحمد خليل، العقل في الإسلام، دار الطباعة لنشر، بيروت، لبنان، ط1، اغسطس 1993م.
19-دونالد جيلير، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة: حسن علي، مراجعة: إمام عبد الفتاح، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
20-راسل برتراند، حكمة العرب، ج2، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1973م.
21-رجاء وحيدي دويدري، البحث العلمي "اساسياته النظرية وممارساته العلمية "، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1420هـ-2000م.
22-رضا سعادة، الفلسفة ومشكلات الانسان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990م.
23-رونيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1969م.
24-رونيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة: عثمان أمين، دار القافة لنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1993م.
25-ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.
26-زكي نجيب محمود، دافيد هيوم، دار المعرفة، مصر، د.ط، د.ت.
27-زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، ط4، 1993م.
28-السيد نفادي وآخرون، الضرورة والاحتمال، دار التنوير، بيروت، ط1، 1983م.

29-سالم ياقوت، فلسفة العلم في العصر الكلاسيكي، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، أوت 1989م.
30-الصاوي الصاوي أحمد، الفلسفة الإسلامية، دار النصر لتوزيع والنشر، الجيزة، د.ط، 1998م.
31-الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
31-عبد الرحمان التليلي، ابن رشد الفيلسوف العالم، المنطقة العربية لتربية والثقافة والعلوم، تونس، د.ط، 1998م.
32-عبد الفتاح الديدي، لاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، ط2، 1985م.
33-عبد الفتاح بشتة، لابستيمولوجيا، دار الطليعة لنشر، بيروت، لبنان، ط1، سبتمبر 1995م.
34-عبد الهادي الفضلي، أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ايران، د.ط، د.ت.
35-عبد الوهاب جعفري، أضواء الفلسفة الديكارتية، الفتح لطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، 1990م.
36-علي حسين، منهج الاستقراء العلمي، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
37-علي عبد المعطي محمد، المنطق ومناهج البحث العلمي (في العلوم الرياضية والطبيعية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م.
38-غنار سكيربك. زنلزغيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديم إلى القرن العشرين، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: نجوى نصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م.
39-فؤاد زكريا، سبينوزا، سلسة الفكر المعاصر، التنوير، بيروت، 1981م.
40-فؤاد زكريا، نظرية المعرفة، دار مصر لطباعة، الفجالة، د.ط، 1991م.
41-فرنسيس بيكون، الارجانون الجديد، ارشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية لنشر والتوزيع، ط1، 2013م.
42-فليب فرانك، فلسفة العلم الصلة بين الفلسفة العلم، ترجمة: علي علي ناصيف، المؤسسة العربية لدراسة والنشر، بيروت، ط1، 1983م.
43-قنصوة صلاح، فلسفة العلم، دار التنوير لنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2008م.
44-كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، عبد الحميد صبرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989م.

45-كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة: ماهر عبد القادر، محمد علي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
46-كريم متى، الفلسفة الحديثة، منشورات جامعة فاريوس، بنغازي، ط2، 1988م.
47-ليفي برول، فلسفة أوغست كونت، ترجمة: محمود قاسم والسيد بلوي، مكتبة أنجلو المصرية، د.ط، د.ت.
48-ماهر عبد القادر، الاستقراء العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
49-ماهر عبد القادر، المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1985م.
50-محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، تعليق يحي محمد، مؤسسة عارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، 1985م.
51-محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، دار الفكر، بيروت، ط4، 1972م.
52-محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، المعرفة العلمية، دار توبقال لنشر، الدار البيضاء، ط3، 2009مم.
53-محمد عابدي الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، يونيو 2002م.
54-محمد علي أبو ريان، أسس المنطق الصوري ومشكلاته، دار النهضة، بيروت، د.ط، 1976م.
55-محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفة، الفلسفة الحديثة، ج4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.
56-محمد محمد قاسم، كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1995م.
57-محمود حمدي زقزوق، الدين والفلسفة والتنوير، تحرير: رجب البنا، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1996م.
58-محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 1988م.
59-محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1970م.
60-مصطفى غالب، ديكارت، منشورات دار مكتبة الهلال، دط، 1985م.

61-منذر شباني، سبينوزا واللاهوت، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية الكتاب، د.ط، 2009م.

62-مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دراسة تحليلية ونقدية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، أكتوبر 1996م.

63-موريس بوكاي، أصل الانسان بين العلم والكتب السماوية، ترجمة: فوزي شعبان، منشورات دار SEGHRS، د.ط، 1981م.

64-هارولد لاسيكي، نشأة التحررية الأوروبية، ترجمة: عبد الرحمان صدقي، مراجعة: علي أيهم، دار مصر لطباعة، الفجالة، د.ط، د.ت.

65-هاينز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لطباعة والنشر، اسكندرية، د.ط، 2004م.

66-هنترميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة، مصر لطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1985م.

67-هنري بونكاري، قيمة العلم، ترجمة: الميلودي شغموم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

68-ولتر ستيس، الدين والعقل الحديث، ترجمة: إمام عبد الفتاح، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 1998م.

69-ول ديوارنت، قة الحضارة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، دار الجيل، بيروت، ج3، 1992م.

70-وندي دونز. ريتشارد فمرتون، دون استيوارت ميل، ترجمة: نجيب الحصادي، المركز القومي لترجمة، القاهرة، ط1، 2011م.

71-يمنى الطريف الخولي،فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، ديسمبر 2000م.

72-يمنى الطريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء، القاهرة، د.ط، 20001م.

73-يمنى الطريف الخولي، فلسفة كارل بوبر (منهج العلم، منطق العلم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1989م.

74-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1949م.

75-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار المعارف، مصر، ط3، د.ت.

القواميس والموسوعات:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.

2-أندريه لالاند، موسوعة لالاند، ترجمة: خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001م.

3-بيتر كونزمان، فرانك وآخرون، أطلس dtv الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، تيبوبرس، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

4-تدهوند رتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصاري، المكتبة الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، (د.س.ط).

5-جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب لنشر، تونس، 2004م.

6-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م.

7-محمد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد، بيروت، د.ط، د.ت.

8-م.روزنتال. ي. يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، فبراير 2006.

9-عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م.

10-عبد الرحمان بدوي، ايمانويل كانط، ج1، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1977م.

المجلات والدوريات:

1-عمر مهيبل، دلائل البعد الميتافيزيقي في المنهج الهندسي عند سبينوزا، مجلة دراسات فلسفية العدد الأول، جامعة الجزائر، 1996م.

2-هادي اركون، منهج سبينوزا قراءة الكتاب المقدس، الحوار المتدن، العدد 47، 2015م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة .

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي لفلسفة العلم عند العقليين والتجريبين.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي لفلسفة العلم.....06

المبحث الثاني: المنهج ومفهوم العقل عند العقليين.....18

المبحث الثالث: المنهج ومفهوم والتجربة عند التجريبيين.....23

الفصل الثاني: فلسفة العلم عند سبينوزا

المبحث الأول: نظرية المعرفة وأزمة اليقين.....28

المبحث الثاني: نظرية المعرفة وتطور فلسفة العلم.....34

المبحث الثالث: المنهج والعائق الابستيمولوجي.....49

الفصل الثالث: فلسفة العلم عند جون استوارت مل

المبحث الأول: مشكلة الاستقراء وأزمة اليقين.....,.....54

المبحث الثاني: نظرية المعرفة وتطور فلسفة العلم.....,,.....65

المبحث الثالث: العلم والعائق الابستيمولوجي.....78

الفصل الرابع: مقارنة فلسفية بين النزعة العلمية عند اسبينوزا، جون استيوارت مل

المبحث الأول: التطورات الفلسفية والنزعة سبينوزا وجون استيوارت مل العلمية.....82

المبحث الثاني: قراءة نقدية لفلسفة سبينوزا وجون استيوارت مل.....93

خاتمة.....102

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات